قطة شيرازية

مذكرات كاتبة صحفية

رواية

أمل لولي سفينج

٢٠١٧

الناشر

www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة
أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي
سماح الجمال

المدير الفني
أحمد جابر

تصميم الغلاف
أحمد صادق

التصميم الداخلي
وليد محمد

دار النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى
- الحي الأول- مدينة الشيخ زايد -
الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢
٠٠٢-٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥
E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى
1438 هـ - 2017 م
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
2017 - 1540
ISBN: 978 - 977 - 6580 - 79 - 9

إهـــــداء

إلى كل من شجعني وآمن بإحساسي ولُغتي...
شكراً
إلى ميرفت صديقتي التي كنت أهرع إليها
كلما فاجأني الوحي كالمخاض أستشف منها المشورة...
شكراً
إلى نفسي المتمردة التي أتعبتني كثيراً كي أروضها...
شكراً

كعادتي اليومية السخيفة.. أستيقظ قبل أن يطلق المنبه صفارته المزعجة وأفيق من ثرثرة الأحلام، فمن عادة النوم أن يثرثر كثيراً كي يقنع نفسه أنّه ليس نادماَ على مالم يكن عشقاُ..

وعلى الميعاد اليومي نفسه وقطتي لوزة الشيرازية البيضاء تلعق أصابعي كالعادة لأفيق وأقدم لها وجبة الإفطار ..بصوت أرهق حباله الصوتية احتساء السجائر بشهية...

- صباح الخير يا لوزة حاضر قايمه أهو !

لبست الروب وجرجرت الأقدام المتعبة من ثرثرة أحلامي الثكلى إلى باب المطبخ ملأت السخان وانتظرت بجانبه حتى يغلي الماء وينفجر بخارًا ويعلو صفيره المزعج...

- اففففف كل حاجة الصبح مزعجة كده..

التقطت علبة سجائر واشعلت السيجارة النحيفة بهدوء لأفرغ لفافاتها من دخانها العقيم وأُوقد صدري على مرأى الروح بعبث.

فتحت علبة تونه وقدّمتها للقطة الجائعة بدلاً من لعقها لأصابع قدميّ بشبق وأنا أصُب القهوة في الفنجان الضخم المفضل لديّ.

أعشق هذا الطعم من القهوة ولا بديل عنه أبداً مهما ارتفع ثمنه... إنّه فقط ما يعدل مزاجي المتكدّر دائماً صباحاً، لدرجة أدمنته وبدون هذا الطعم لا يكتمل يومي بشكل متوازن.

لذا قررت أن أذيب التوازن في فنجان قهوة.. أن أبدأ النهار بإقامة علاقة جميلة وكسولة مع الحياة.. أن أفك ربطة عنق الوقت، وأترك

نافذتي مفتوحةً لرياح المصادفة!

جرجرت قدميّ مرة أخرى لسريري كعادتي لأرتب ملاءات الندم بعد ليلة حلم صاخبة كما كل ليلة!

دائماً ما أصحو مبكراً،عادة من العادات الصحية التي لا أحبها.. أحتاج أحياناً لقليل من التوحش يمتطى صهيل رغباتي ويُعيدني قسراً إلى خِدر النساء..

نظرت بملل شديد إلى الساعة لا تزال الثامنة صباحاً... ولاشيء أفعله تقريباً سوى كتابة بعض المقالات كالعادة وإرسالها إليكترونياً إلى الجريدة والمجلات التي أكتب بها أبواباً يومية لفقراء المحبة من القرّاء.

مقالاتي دائماً عن الحب والرومانسية والعواطف المشتعلة التي بحاجة إلى امرأة تجيد فن اطفاء النيران، أو إلى رجل يجيد إشعال الحرائق.

اليوم أنا متعبة ولست بخير منهكة من سرير الوحدة، وأفكاري تعاني من الضجر!

سأحضر اجتماعات العمل الكترونياً، وإلا فما فائدة التكنولوجيا في حالتي الآنية..؟

حتى البقالة ستصلني من عم عبده البقّال حيث يرسلها لي كل اسبوع مع ما أحتاجه من الحكمة.. خضروات وفاكهة وقهوة وتونة للقطة، لحوم وسجائر أشعل بها ليل الأمنيات الجليدية...

عم عبده هو الرجل الوحيد الذي يحترم صمتي فقط يرسل مؤونة الأيام الثقيلة، يحترم خصوصيتي ويعلم كيف يتعامل معي بشكل حضاري، وبرغم أمّيته الدراسية، إلا أنني معجبة بآرائه السياسية دوماً. ..

كان بمثابة العجوز الفيلسوف - أكثر من ذكائه - كانت حكمة ذلك الرجل هي ما يذهلني ذلك أنّ صوته لا يفارقني.. كان يأتي في كل مناسبة ملتبس الإضاءات في جملة. ويحدث أن آخذ منه الكثير من الآراء والأفكار لأكتبها في مقالات ، والتى تنتظر حكمته لتكون بابًا فى صحيفة، وبعدها أطلبه هاتفياً لكي أقرأ له ما كتبته بأسلوبي الخاص... وكثيراً ما أجزل له الشكر عندما تحظى فكرته بمقالة ناجحة تعجب قراء المحبة وعلبة تونه تعجب خليلتي الشيرازية !

اليوم لا رغبة لي بكتابة المقالات فأنا حزينة على غير العادة معكّرة المزاج.. قلمي يرفض الانصياع... فرميت الحاسوب جانباً وأشعلت سيجارتي الخامسة هذا الصباح وجلست بهدوء مريب أنظر لنفسي في المرآة العاكسة للتسريحة التي تواجه السرير.

قمت من فوري لأنظر عن قرب ما هذا؟ تجاعيد تغزو بشرتي الطفولية التي كثيراً ما كانت تلفت أنظار الآخرين بنضارتها كيف مّر العمر بهذه السرعة... كنت لا أخاف أبداً من جري السنين، ولم أظن يوماً أنني سأعاني مثل بقية النساء كيف لم أدرك هذا الواقع سابقاً؟

كل ماكان يهمني هو عملي فقط ، لم أقف لحظة لألتقط أنفاسي

أو أفكر في نفسي كأنثى بعد خمسة عشر عاماً من فشل تجربتي اليتيمة، حين انتهت قصة حبي الأسطورية مع أحمد، الذي كانت تتهافت عليه معظم فتيات الجامعة شاب وسيم، مفتول العضلات، جامح، وخفيف الظل..

لفت نظري منذ اليوم الأول لالتحاقي بالجامعة، كان في السنة الأخيرة من كلية الإعلام وكنت لا أزال طفلة تخطو ببواكير الأنوثة إلى عالم الجامعة الغريب..

لم أكن أنتمي لشلّة، ولم تكن لي حتى صديقات من أيام الثانوية التحقن معي بكلية الإعلام.. وبسبب انتقال والدي من منطقة لأخرى لم يعد لدّي أيضا أي معارف في المنطقة. وبالصدفة اكتشفت أن أحمد جاري، على بعد خطوات من المنزل!

تذكرت أول مرة لفت نظري عندما كنت أقف وحدي أحاول أن أعرف اين هي محاضرتي الأولى عندما اقترب مني قائلاً:

- صباح الخير أنا أحمد.

حاولت تجاهل الرّد عليه وأنا أشغل نفسي بالنظر إلى جدول محاضرات الطلاب الجدد.

- إنتِ مبترديش ليه أنا أحمد...

ترددت قليلاً، لكنني لم أستطع أن أتجاهله أكثر.. كنت كطفل يحاول أن يتسلّق مارداً شاهق الارتفاع دون جدوى منزلقاً إلى القاع، أو كمن يحاول أن يخبيء فيلاً ضخماً بداخل جيبه الصغير.. لا يعلم

كيف يتصرف، والأمر جلل...

حسمت أمري أخيراً وردت بصوت مبحوح:

- صباح النور..

- أكيد اسمِك نور .

- بس ليه بتقول نور ؟ لا اسمي ليلى .

- أصلك بتشعي بهاء ونور.

ابتسمت ابتسامة خجلى وأرخيت أهدابي الطويلة على عينّي العسليتين..

- أهلاً ليلى... شايفك محتارة تحبي أساعدك؟

- عايزه أعرف محاضرتي فين ومش عارفه أسأل مين ..

- طيب تعالي نسأل.

مشيت بجانبه، وكانت أول مرة أمشي بجوار رجل آخر غير أبي وأول مرة أحس بشعور غريب ينتابني كأنّه حبيبي أو زوجي ،أحسست وقتها بمزيج من السعادة والفخر وتهيأ لي أنّ هذا الرجل الوسيم هو ملكي وحدي، وتمنّيت لو أنّ الله يكتبه لي زوجاً في يوم من الأيام وكم من الأطفال سأنجب منه سأنجب منه ولداً يشبهه... بل سأنجب منه قبيلة بأسرها رجالاً أشدّاء ونساء مثيرات يشبهونه ويشبهونني.

- ليلى انتِ المفروض محاضرتك مع دكتور مين؟

- ليلى !

انتفضت من أحلامي المثيرة على يده القوية تهزّ كتفي بلطف.

- أأأأأيوة محاضرتي الأولى مع الدكتور محمود.

- اتفضلي يا ستي ولما تخلصي هاتلاقيني مستنيكِ على الباب أحسن تتوهي تاني ركزي في المحاضرة وبلاش السرحان عشان تشدّي حيلك.

صافحني مبتعداً.. تسمرّت في مكاني فترة طويلة وأنا أمسك يدي مضمومة إلى صدري أشمها حيناً.. وأحتضنها حيناً آخر..

لم أفقه حرفاً واحداً من المحاضرة ولم يهمني الأمر كثيراً كنت أمنّي نفسي بساعة لقائه ماذا لقاؤه..! كيف يجرؤ؟ هل هذا موعد غرامي... لماذا لم يسألني رأيي إن كنت أوافق على رؤيته مجدداً أم لا؟

مسحت كل التساؤلات من عقلي وحاولت التركيز في آخر خمس دقائق من المحاضرة، ثم جهزت اوراقي وخرجت للقائه بعد أن قرصت وجنتّي كي يجري الدم بهما وصلحت من هندامي.. وبيدين مرتعشتين صافحته مبتسمة.. وبفضول مع ابتسامة شقية سألني:

- إنتِ ساكنة فين.

وأنا أحاول أن أخبىء ابتسامتي البلهاء:

- أنا ساكنة في المنيل، وأنت؟

- تعرفي فتحي الكبابجي؟

- أنا باستغراب: أيوه ده جنبنا على طول.

- احنا تالت عمارة على اليمين قبل النيل.

- العمارة اللي بلكوناتها ألوميتال بنّي؟

- أيوه صح إزاي عرفت التفاصيل دي؟

- أصلي ساكن بعدكم بعمارتين، يبقى كل يوم هاوصلك واحنا رايحين وراجعين،اعتبريني الحارس الشخصي لمعاليكِ يا جلالة الملكة.

- على فكرة أنا مش بحب المجاملات يعني حاول متقوليش كلام من اللي بيقوله الولاد للبنات لأني مش بحب حدّ يضحك عليّ.

- وإنتِ ليه واخدة الكلام بشكل سلبي... بصي أنا مش هاجاملك وهاسميكي الشاويش حنفي، مبسوطة كدة؟

- لا مش أوي كدة ليلى كفاية أوي.

- طيب خلاص يا ست ليلى كفايه أوي.

أول يوم دراسي في الجامعة كان أول يوم في حياتي كأنثى.. أحسست بنفسي في عالم آخر.. امرأة مكتملة الأنوثة تلفت نظر سيد الرجال.. كنت وقتها أرى العالم من خلال نافذة صغيرة بحجم ثقب الباب، لا أرى من خلاله الا الدهشة، وكلما حادثني وسعت الدائرة أكثر...

كان أحمد مثقفا جداً، واسع المعرفة، كثيراً ما علمني أموراً كنت أجهلها تماماً.. مرة طلب مني أن نحضر عيد ميلاد أعز صديقاته نهى .. يومها أزعجني الأمر لا أعلم لماذا، ولكن مجرد إحساسي بوجود أنثى أخرى في حياته حتى وإن كانت مجرد صديقة فقط، ولمجرد أنّه يوجد اسم مؤنث في قائمة أصدقائه اعتبرته منافسة على قلب أحمد وقررّت الذهاب معه...

.....

- يا ماما استنى بس أنا قربت أخلص أهو..

- يابنتي أحمد هنا من نص ساعة يلا كفاية زواق..

صوت أمي كان عالياً لدرجة أنني أحسست بالخجل من نفسي...

- طيب يا ماما حاضر أهو..

- إزيّك يا أحمد... أحمد؟

- آه إزيّك يا ليلى.. أنا بس أصلي كنت سارح شوية..

أحسست بمعاناته عندما رآني متزينة لأول مرة منذ تعارفنا، وكنت أقصد هذا الأمر تماماً.

- يلا يا ولاد... متنساش يا أحمد ترجعها على 11 بالكتير.. تحط ليلى في عينك زي أختك..

- أكيد يا طنط من غير ماتقولي ليلى في عينيّ الاتنين.

- سلام يا عمّو..

- سلام يا أحمد..

ماما على الباب: خدي بالك من نفسك بلاش ترقصي معاه أو يمسكك من كتفك أو وسطك خلي بينكم مسافة يابنتي...أنا مش هابقى معاكِ بس عارفة إنك مش هاتعملي إلا اللي مش هايزعلني منك...

- حاضر يا ماما عارفة ...حاضر.

عندما أغلق باب الشقة وفي المصعد كانت أول قبلة على خدّي..

- أنت بتعمل إيه،لا يا أحمد هازعل منك.

- آسف بس مقدرتش أتمالك نفسي أوعدك انها مش هاتتكرر تاني.

أنا بنرفزة وصوت واطي خالص..؟

- تقصدي إيه..؟

بصوت أعلى قليلاً: مقصدش حاجة ، بس يعني...

مقاطعا: خلاص زي ماتحبي لو حبيتي أكرر البوسة أنا تحت أمرك لو اتضايقتِ اعتبريها آخر مرة...

- أمممممممم طب أفكر..

وصلنا الحفلة متشابكي الأيدي، الحفلة كانت كلها بذخ بحق ، دلفنا من باب الفيلا إلى الحديقة المعدّة للإحتفال كان عدد الضيوف كبيراً جداً أحسست بالخجل لعدم معرفتي بأحد من أصحاب الحفل والمدعوين...

تركني «أحمد» وذهب ليسلم على نهى ... كانت في نفس سنه.. زميلته في سنة رابعة في الجامعة، أحسست بالغيرة من جمالها وخفّة ظلها...

كان الاحتفال عبارة عن مسرح كبير معّد خصيصا كي يغني فوقه المطرب... وفي الجانب الشرقي من الحديقة الكبيرة كان يوجد هيكل خشبي مزين بالاضاءة العالية على شكل بار يعجّ بالمشروبات من كل صنف ولون، وكراسٍ عالية تحدّه من كل صوب، وبعض الطاولات المرمية بنظام جمالي حوله من كل جانب...

الحفلة بدأت قبل حضورنا بوقت قصير ....

أحسست بالملل وأنا أتابع المدعوين، فذهبت إلى البار لكي أتناول بعض العصير المثلج أهدىء به من روعي، وفجأة نادى أحمد علّي بصوته الرجولي

- ليلى تعالي أعرفك بنهى.

رسمت ابتسامة مزيفة على وجهي وأخذت كوب العصير وذهبت بتثاقل.

- أهلاً ليلى .. أحمد حكى لي كتير عنك واضح إن معاه حق..

- ميرسي يا نهى ولو أني معرفش هو قالك إيه.

- لا خليه سر بينا هابقى أقولك عليه بعدين يا ليلى عايزاكِ تنبسطي بالحفلة وميرسي على الهدية أحمد قالي انك نقيتيها على ذوقك...

احسست بالحرج فأنا لا أعلم ماذا أحضر لها أحمد ولا حتى خطر ببالي أن أسأله قبلها.

تركتنا وذهبت بعد قليل من المجاملات والنظرات النسائية الحارقة التي لا تخطؤها عين...

- أحمد أنت جبتلها إيه صحيح مسألتكش.

- قزازة بارفان يا ليلى عادي يعني...

- آه... أوك

- إنتِ اتضايقتي اني قلت إنها منا احنا الاتنين..

- لا أبداً...أنا اللي آسفه إني مفكرتش حتى بالهدية...

- لا يا حبيبتي متتأسفيش إحنا الإتنين واحد.. بس أوعي تكوني غيرانة ولا حاجة...

- لا،هاغير من إيه؟

- بصي ياستي هافهمك نهى دي صاحبتي من أيام ابتدائي، والدها ووالدي شركاء بزنس مع بعض وأنا لازم أجاملها وأحضر أعياد ميلادها وأبقى لطيف، لأنها بصراحة هي كمان لطيفة أوي معايا... وبرغم إن والدها ووالدي عايزينا نرتبط بس إحنا مش في دماغنا خالص وبنقولهم إننا إخوات ومينفعش أخ يتجوز أخته..

أزعجتني كلمة «إحنا»، فهذا معناه أنه يجمع نفسه بها جمعاً يجعلني أغار عليه من مجرد الفكرة نفسها، فرددت عليه بصوت مبحوح بارد:

- ترتبطوا آه تمام...

- فهمتي إيه بقى؟

- لا مفهمتش غير انه مينفعش ترتبطوا لأنكم بتحبوا بعض... زي الإخوات.

- تمام كده وضحت لك الفكرة، وعشان كده طلبت منك تيجي معايا عيد ميلادها أولا عشان تعرفي إنها زي أختي وعلاقتنا أبعد من أيّة تخيلات تانية وثانياً عارف إن الكلام ده هايوصل لبابايا وباباها وهايبقى أمر واقع..

- تقصد إيه يا أحمد مش فاهمة؟

- مش فاهم إيه بالظبط؟

- يعني إيه أمر واقع؟

- أمر واقع يعني أنا بحبك وعايز أتجوزك أنتِ وبس من أول يوم شفتك فيه، حسيت إنك اتخلقتِ عشاني أنا وبس، وأنا اتخلقت عشانك إنتِ وبس... ليلى ساكتة ليه، كلامي ضايقك؟

فجأة أحسست إنني أهوي من علو شاهق ولا شيء يمسكني إلا خيط مربوط طرفه بأحمد وهو فقط من يستطيع إيقاف انحداري، أردت أن أرد عليه بأنني أحبه أيضاً لكن صوتي أحتبس تماماً... أبحث عن كلمة أرد بها عليه غير «وأنا كمان»...

لم يعد عقلي يستوعب فكرة إنه يصارحني بحبه وسط هذا الكم من البشر وبدون سابق إنذار....

كانت قبل هذه اللحظة معظم تخيلاتي أنّ الحبيب عندما يريد الاعتراف لحبيبته بحبه، يأخذها إلى مقهى على النيل، يهديها باقة من الورود ويجلسان في هدوء وهو يمسك بيدها وعندها يعترف لها بحبه... أما أحمد فقد صدمني فجأة وبدون سابق انذار وسط ضجيج من الأصوات الموسيقية والسكارى والراقصين والراقصات...

فصلت نفسي عن كل هذا الضجيج لكي أتمالك نفسي وأرد عليه رداً مناسباً...

-أنا يا أحمد أنا ...!

- إنتِ إيه.. آسف يظهر إني استعجلت وصارحتك قبل ما اتأكد إنك بتبادليني مشاعري .

- لا يا أحمد مش كده أصل...

أحمد مقاطعاً بصوت أجّش ، خلاص يا ليلى يلا أوصلك البيت عشان مامتك ماتقلقش عليكِ الحفلة كده خلصت بالنسبة لي....

ألقينا التحية على نهى التي أحست بأمر ما ولكنّها لم تصرّ على معرفة سبب تعكر مزاج أحمد المفاجىء، وطلبت مني التواصل معها في الجامعة وأبدت استعدادها لمساعدتي في دراستي إن احتجت لها في اي وقت... كانت ودودة جداً برغم إحساسي القوي بأنّها تخفي أمراً ماكراً.

لم يكن عندي ذرّة شك بأنّها كانت ممتعضة من وجودي مع أحمد ليلتها، ولكن هذا لم يبعد عني فكرة أنّ أحمد يحبني وأنّه اعترف بحبه لي، ولم أستطع أن أتجاوب معه بسبب عنصر المفاجأة أو بسبب غيرتي الشديدة من نهى، أو لأنه لم يعطني فرصة لإستكمال كلامي فأصابني الصمت المفاجىء،أصابتني دهشة من عصبيته المفاجأة ألجمت لساني..

مشينا طول الطريق وهو مكفهّر الوجه ساكت يشعل سجائره الواحدة تلو الأخرى...

أوصلني إلى المنزل وصعد معي لكي يطمئن أمي ورحل صامتاً دون أن ينبس ببنت شفة..

لم أنم ليلتها ولا الليالي التي تلتها أحمد لم يظهر في الكلية ولم تظهر نهى أيضا...

حاولت أن أسأل عنه زملاءه ولكنّهم لا يعرفون سبب غيابه وغياب نهى المفاجىء، أصابتني الحيرة واللهفة وفكّرت كثيراً أن أذهب لمنزله أطرق بابه وأعترف له بحبي ولكنى كنت أتراجع في كل مرة... فكنت أمر تحت بيته في طريقي إلى الجامعة ذهاباً وإياباً ولكنّي لم ألمحه ولا مرة ولا لمحت سيارته تحت المنزل...

معي رقم منزله ولكني خفت أن أتصل، قد يغلق السماعة في وجهي أو ترد علّي والدته.

طبعي المتردد والمتحفظ منعني من أن انفذ أيّ خطة دارت في تفكيري، فأسقط في يدي وقررت عدم الذهاب للجامعة لأنني لم أعد أستطيع أن أبعد أحمد عن تفكيري لدرجة أنني قاطعت الزاد وبدأت أدخن بشراهة فأصابني الوهن ونزل وزني بشكل مفاجىء، وفجأة قررت أن أذهب واطرق بابه وليحدث ما يحدث...

لبست حذائي الرياضي ونزلت فجأة من المنزل، أمي لم تستطع أن تفهم من تمتمتي شيئاً سوى أنني سأحضر بعض مستلزمات الدراسة من زميلة...

مشيت والأفكار تعصف برأسي هل سيكون حضوري محرجاً له، أم سيكون فرحا بي؟ ماذا سيكون موقفي أمام والدته مثلاً أو والده أو حتى أخته عزة التي كثيراً ما حدثني عنها،عزة التي ولدت بإعاقة جسدية تمنعها من التعامل مع الأغراب او إتمام دراستها بشكل سليم...

مالي ومال عزة الآن! يجب أن أراه وليحدث ما يحدث..!

وصلت باب العمارة ، دلفت إلى المصعد ،أغلقت بابه بعصبيّة ووقفت هناك على باب شقة أحمد لا أدرى كم طال بي البقاء متسمّرة مكاني، أفقت على صوت باب شقتهم يفتح وصوت أحمد

- حاضر يا أمي مش هاتأخـــــ....

تفاجأ بوجودي على باب بيته فأغلق الباب وأمسكني من يدي وأخدني إلى المصعد ولم يضغط أي زرار، فقط نظر إلى وجهي المرهق وعينايّ الشاحبتان واحتضني وأنا... أنا تهت من نفسي، لم أعد أعرف إن كان يحملني بين ذراعيه أم أنني أطير،غبت عن الدنيا في أحضانه وأنا أقول له

- أحمد أنا..

- متقوليش حاجة يا ليلى.

- لا أنا عايزاك تعرف إني حبيتك من أول مره شفتك فيها اتمنيتك أبو أولادي وعدت نفسي إني هاخلف منك قبيلة بحالها، حبيت إصرارك عليّ، حبيت كلامك معايا، حبيت إهتمامك بيّ، حبيت كل تفصيلة في إيديك ووشك وردود أفعالك .. حتى حبيت وشك وأنت مكشّر ساعة ماتكون بتلعب مع بابا الطاولة وهو بيغلبك... كنت بشوف وشك فرحان، يمكن لأنك بتحبني ومش متضايق بس بسبب إنه بابا...

حبيت لمسة إيدك وبوستك في الأسانسير حتى شراهتك في التدخين

حبيتها وبقيت أشتري السجاير عشان أدخن زيك حبيتـــــــ...

لثم يدي وأمسك بها ناظراً في عيني بوداعة عجيبة

- ليلي .. أنا كمان بحبك وبحبك أوي كمان.

غرقنا في أحضان وقبلات، ولولا أننا كنا في مصعد عمارتهم، وقلقي من أن يخرج أحد أفراد أسرته فجأة ويرانا ماكنت تركته أبداً يومها..

بعد اعترافي له بحبي بدأت الحياة تأخذ لوناً ورديا أكثر.. كنت كل يوم أحادثه إلى أن تغفو عيني وأول صوت أسمعه صباحا عندما يوقظني..

سارت الحياة بهدوء، فأبي وأمي راضيان عن علاقتي بأحمد .. اعتباره ابنهما الذي لم ينجباه، لأنني كنت الابنة الوحيدة لهما بعد أن توفى أخ لي في المهد، لم تنجب أمي مرة أخرى، وكنت أنا طفلتهما المدللة، وبرغم شدة أمي وصرامتها إلا أنّها كانت أحن أم في الدنيا، ودائماً ما نصحتني بعدم الالتفات للصبيان منذ أن بدأت تظهر على جسدي ملامح الأنوثة المبكرة...

- خليكي تقيلة يابنتي وامشي وإنتِ مكشّرة... الولاد بيحبوا البنت المشخلعة اللي بتضحك لهم عشان يضحكوا عليها...

- اوعى حد يقولك تعالي أوصلك البيت تركبي معاه... اوعي حد يلمسك في أي مكان... دائماً خلي جسمك عزيز عليكِ وأغلى حاجة بتملكها البنت..

كانت كثيراً ما تسمعني كلاماً شبيهاً بالحفاظ على جسدي من

لمسات الغرباء، وكأّن جسدي مشاع لأي عابر سبيل... ومن شدة ترديدها هذا الكلام حفظته عن ظهر قلب، لدرجة أنني أصبحت أكمل الجملة قبل أن تنهيها، فتعبث بوجهي عندما أنهي الحوار، ابتسامة باردة

- حاضر يا ماما...

- أوك يا ماما...

- طيب يا ماما...

الحق يقال كنت أشفق عليها من شدة خوفها عليّ، ولكنني كنت طفلة طموحة منذ بداياتي لم يوقفني شيء أبداً وكان أبي يشجعني دائماً على الانطلاق ويقول لي

- يابنتي مفيش فرق بين البنت والولد، الفرق هنا- مشيراً إلى رأسه- لازم تتعاملي مع الناس على إنك ست وراجل... ست ساعة اللزوم وراجل زي أي راجل لازم يثبت نفسه في أي موقف فهماني يا بنتي؟

كنت أومىء برأسي إيجاباً دائماً مؤمنّة على كلامه، فأنا أحب أبي جداً ونصائحه كانت دائماً تأخذ انتباهي لا أدرى، هل لشغفي بعالم الرجال... فلم تكن لي صديقة فتاة ماعدا مشيرة ابنة خالي، ووجودها كان فرضاً مقدساً عليّ، فأنا لم أختر صداقتها أو قرابتها، وبرغم أنها لم تكن قريبتي الوحيدة إلا أنّها كانت متواجدة دائماً بطريقة ما، إلى أن حدث أمر قطع علاقتي بمشيرة تماماً حتى دخولي الجامعة...

كنت أحب صحبة هادي ومحب أولاد عمتي أمينة التوأم، وكثيراً ما قضينا أيام المصيف معاً بالإسكندرية، لم نكن نفترق أنا ومشيرة وهادي ومحب، كنا متوافقين تماماً في الطباع، ومعظم شجاراتنا بسبب إن هادي ومحب يتجادلان في الرأي.. صحيح أنهما كانا متشابهين في الشكل، ولكن شتّان في الطباع...

وأذكر أنّ أول قبلة كانت من هادي ، ولازلت أذكر تفاصيلها تماماً كأنّها حفرت في ذاكرتي.

هادي كان هادئاً منذ طفولته، عكس محب الذي كان كثير الضجيج والحركة .

هادي كان يتعامل بذكاء وعقلانية مع المواقف ،وكثيراً ما نصحني ولفت انتباهي لأمور لم أكن منتبهة لها كان نعم الصديق دائماً...

- ليلى إنتِ عارفة إنيّ بفضل صحبتك عن مشيرة؟

- عارفة يا هادي بس مشيرة برضو بتزعل لما بنسيبها ونمشي لوحدنا على الشط ، لازم نراعي مشاعرها يا هادي...

- آه بس هي بتغلّس عليّ دايماً وأنا مابقيتش قادر أتحملها.

- معلش مانت عارف إنها بتحبك ؟

- آه عارف وصارحتني بحبها بس أنا مش بحبها...

- معلش يا هادي إحنا فتحنا عينينا على بعض من فضلك بلاش نقلب الصيف ده لعكننة زي الصيف اللي فات.

- خلاص يا ليلى بس عايز أقولك حاجة ولازم تصدقيني.

- قول يا هادي وانت عارف إني بثق فيك وبصدّقك دايماً.

- أنا بحبك..

- بس أنا..مقدرش ؟

- متقدريش ليه؟ عشان مشيرة؟ واحنا ذنبنا إيه هي بتحب من طرف واحد بس أنا عايز أعرف إنتِ بتبادليني شعوري ده ولا لأ...

توقف هادي فجأة عن السير وواجهني

- عايز أسمع ردك دلوقتي..

- هادي أنا...

فجأة وبدون سابق إنذار طبع قبلة على خدي.

- هادي انت بتعمل إيه...

- مبعملش، بثبت لك إني بحبك.

- وهي البوسة إثبات للحب ؟

مبتسماً بمكر شديد آه طبعاً إثبات.. فيه طرق كتير أثبت لك بها حبي وما تنسيش إني مش هاقدر أتجوزك دلوقتي لأني لسه لازم أخلص الثانوية والجامعة والجيش يعني مفيش قدامي حاجة أثبت لك بها حبي الا البوسة...

بعدها أصبحت مشاويرنا على الشاطىء من يومياتنا الخاصة السرّية... وأصبحت العلاقة أشّد قوة وسخونة...

أحببت هادي حب المراهقة، ولكنّي كنت مستعدة لأن أبتعد عنه إن احسست لوهلة أنه يحب مشيرة أو يكّن لها أية مشاعر ولكني

كنت أمام أمرين احلاهما مّر إن بادلت هادي المشاعر كسرت قلب مشيرة، وإن لم أبادله كسرت قلبي وقلب هادي فقررت أن أصارح مشيرة بالأمر وأرضى بحكمها...

- مشيرة عايزة أقولك على حاجة بس ركزي معايا من فضلك وسيبي الهيدفون دلوقتي...

- عايزة إيه يا ليلى أنا مش فاضية لك.

- بطّلي سخافة بقى اقفلي الزفت ده عايزة أقولك على حاجة مهمة.

- حاجة إيه هادي قالك حاجة؟.

- هادي هايقولي إيه، مش فاهمة؟

- لا أبداً، بس أصله بقاله فترة بعيد عني بسببك يا ليلى أنا فاهمة اللي بينكم وما تفتكريش إني مش بشوفكم كل يوم وانتم بتتمشوا سوا على البحر، إنتِ فاكرة إني هاسيبهولك بعد ماكان بيحبني،أنا فعلا حبيته خصوصاً إننا كنا السنة اللي فاتت في المصيف مع بعض قبل ما مامتك تسمح لك إنك تيجي معانا.

- بصي أنا مش عايزة أسيبه وإنتِ لازم تبعدي يا ليلى هادي وأنا بنحب بعض وإنتِ جاية تاخديه مني..

يا إلهي... كان حديث مشيرة صاعقاً سخيفاً أنا لا أحب الدخول في مثل هذه المهاترات، ولا أريد أن أخسرها أو أخسر هادي ، إذن فليكن سأبتعد وأتعلل بمرض ما كي أرجع القاهرة وأتركهما سوياً..لم

أعد أرغب في هذا الهراء...

وكان آخر صيف أقضيه بصحبة أقاربي ، رجعت القاهرة وأنا حزينة وغاضبة من رعونة مشيرة !

*****

انتبهت من الذكريات على إحساس مؤلم.. السيجارة حرقت إصبعي للمرة المليون فقررت الخروج هرباً من الماضي، ولكن لا أعلم اين أذهب هذا الصباح ،لا بأس سأتزّين وأذهب إلى المجهول بدون نوايا مسبقة.

لبست جينزي المفضل وشوميز روز ووضعت أحمر شفاه فقط ورفعت شعري ذيل حصان، وحملت حاسوبي وانطلقت إلى المجهول.

نزلت إلى شوارع منطقة التجّمع الخامس المحيطة بمسكني...

- يا إلهي متى حصل هذا التطور السريع، هل كنت مغيبّة عن الدنيا أم أن الزمن سرقني وسرق مني سنوات طوالاً، كيف لم أنتبه للزمن الذي سبقني كل هذه المراحل...

توقفت عند مجمع الداون تاون كي أحتسي فنجاناً من القهوة.. وبرغم أنني لا أحب مذاق القهوة التجارية في المقاهي لكنني أجبرت نفسي على الجلوس وطلب فنجان من الإسبرسو المزدوج..

في الطاولة القريبة مني كان يجلس رجل وامرأة في العقد الثالث من العمر يتهامسان بصوت منخفض.

أذكر عندما كنت أصغر سناً كانت لعبتي المفضلة هي تحليل

البشر من نظراتهم لبعضهم البعض أو من خلال لغة الجسد.

هيا العبي لعبتك المفضلة مرة أخرى واكتشفي الألغاز

حسناً إذن .. هذه المرأة تحب من تجالسه بشدة، عيناها تنّم عن مقدار كبير من الحب، جلستها وهي مشدودة نحوه بكل جوارحها تؤكد هذا، وصوتها المنخفض يدل على إستكانة وخضوع .

امرأة جميلة الطلّة، منمنمة الملامح، صورة معبّرة للجمال الشرقي، تزيّن وجهها ابتسامة ساحرة.. متأنقة تلبس شوميز من الحرير البيج وسروالاً أسوداً لامعاً وصندلاً أسود بكعب عالٍ، وتضع أحمر شفاه خفيفاً كل مايزينّها أحمر الشفاه فقط.

أما الرجل فلا يمّت للوسامة بصلة ، ملامحه تعبرّ عن حالته المادية الضعيفة ، واسمراره يقول إنه من صعيد مصر أو النوبة.

لفت انتباهي أنّه كان يتلفّت حوله كثيراً،أحسست بقلقه نظرت على بنصره الشمال فوجدته يلبس خاتم زواج ، بينما المرأة لا تلبس خاتم، إذن هي ليست زوجته.

تشاغلت بالنظر إلى حاسوبي وكتابة بعض الكلمات عندما لفت نظري أنّ الرجل يتابعني بعينيه.

فجأة سمعت صوت بكاء المرأة الأنيقة بصوت منخفض، إلا أنّ قلة عدد شاغلي المقهى جعلت الصوت مسموعاً والرجل يحاول السيطرة على الموقف ولكن دون جدوى.

ترى هل هي تستعطفه كي يرجع لها، أو ليتركها؟

فشلت في تحديد السبب، وفضّلت أنّ أنصرف، فأعصابي لا تتحمل هذا الهراء طلبت الحساب ورحلت.

يا الله... لماذا أشغل نفسي بالغرباء ، ففي أول خروج من سجني الذي اخترته لنفسي أنشغل بالغرباء.

لن تتغيري يا ليلى، ستظلين مشغولة بهموم بالبشر حتى عندما تقررين الإنفراد بنفسك والخروج للإستمتاع بنور الصباح المبكر.

نظرت في مرآة العربية وعدّلت أحمر الشفاه وانطلقت مرة أخرى إلى المجهول.

رن جرس المحمول الرقم غير مسجل

- ألو..
- أيوة مين...
- مدام ليلى..
- أيوه..
- أنا موفّق ..
- موفّق مين ..
- موفّق سكرتير رئيس التحرير..
- أهلاً موفّق خير؟
- أبداً كنت بصبح عليكِ بس..
- صباح الخير أي خدمة؟
- بصراحة أنا عايز أكلمك بقالي فترة بس متردد..

صمت تام لا أسمع منه سوى صوت أفكاري الملعونة.. موفّق سكرتير رئيس تحرير الجريدة التي أعمل بها رجل في العقد الخامس من عمره أرمل، يبحث عن زوجة، وكثيراً ما حاول لفت انتباهي بتصرفاته الخرقاء.. ولكنني في كل مرة كنت أصّده بأدب ، هذا الصباح قررت ألا أصده لا أعلم لماذا.

- خير يا موفّق فيه حاجة؟!

- أبداً يا ليلى واسمحي لي أشيل التكلفة بينا عندي مشكلة وكنت حابب أقابلك عشان أحكيهالك أنتِ طبعا بتحلي مشاكل القراء ومش هالاقي حد أفضل منك لمساعدتي.

- طيب يا موفّق مفيش مانع ممكن ترسلها بالبريد وأحلّها .

- لا مشكلتي مش عايز مخلوق غيرك يعرفها.

- مممممممم طيب اتفضل.

- لازم أقابلك شخصياً مينفعش بالتليفون.

- يا إلهي حتى عندما قررت التعاون والتحدث مع رجل ما يريد أن يستغل الموقف تماماً..

- طيب إمتى وفين؟!

- حضرتك فاضية بعد ميعاد الجرنال ممكن أقابلك في الكافيه اللي جنبه.

- طيب الساعة خمسة كويس؟

- تمام هالاقيكي هناك خمسة بالظبط.

- أوكي.

أغلقت الهاتف وأنا أنظر للوقت، الساعة الآن الثالثة عصراً، أمامي ساعتان قبل مقابلة هذا الغير موفّق بمشكلته الخيالية.

أعلم أنّه يريد أن يفتح معي حواراً ما، وقد لا يكون عنده مشكلة فعلية، هو فقط يريد فرصة للتحدث لي.

أخذت نفساً عميقاً وقررت الذهاب للمبنى التجاري «المول» القريب من الجريدة، أشترى بعض الملابس والاحتياجات الضرورية، وأكون قريبة من الكافيه كي لا أتأخر عن الميعاد..

كانت الخامسة تماماً عندما دخلت الكافيه ألقيت نظرة على الموجودين لا أرى موفّق.

اخترت الجلوس إلى كرسي بجوار النافذة وطلبت فنجان قهوة وأشعلت سيجارتي العشرين وسرحت في الماضي رغماً عني.

- ليلى ليه اتصرفتي كده ساعة الحفلة؟

- اتصرفت إزاي يا أحمد مش فاهمة بالظبط.

- ليه رفضتِ حبي ساعتها وحسستيني بأنك مش بتحبيني؟

اعتدلت في جلستي وأشعلت سيجارة ونفثت دخانها قبل أن أكمل حديثي مع أحمد

- شوف يا أحمد أنا كبنت عندي تصور عن الرومانسية والحب والمصارحة بالحب مختلف شوية، لما رحنا الحفلة كنت متوترة لأني معرفش حد والمكان كان دوشة وزحمة وناس بترقص وناس بتسكر

يعني التوتر من كل ناحية، الحب يا أحمد محتاج مساحة والمصارحة محتاجة الوقت المناسب مينفعش إنك تصارح واحدة متوترة بالحب في حفلة كلها دوشة في بيت ضرتها؟

- ضرتها مين يا مجنونة نهى؟

- آه اعتبرتها ضرتي فجأة معرفش ليه جالي الإحساس ده.

- بطّلي هبل، إنتِ عارفة اني بموت فيكِ ومفيش حدّ في حياتي غيرك.

- عارفة وعرفت ده أكتر لما بعدت عني الأيام إللي فاتت كنت هاموت أشوفك، أشمك، أسمع صوتك، أحضنك، أبص في عينيك كنت بجد هاموت يا أحمد حتى الأكل قاطعته جسمي وقلبي رفضوا مظاهر الحياة من غيرك أنت فاجأتني مش أكتر وكنت في مود مش لطيف ساعتها، ورد فعلي كان غبي أنا عارفة بس ده اللي حصل وملّا روّحت البيت قعدت أفكر وقلت أنا يهمني إيه من كل ده أحمد بس اللي يهمني كان لازم أركز على أحمد وأسيبني من كل التوتر الي حواليّ بس أوعدك بعد كده مش هاركز غير عليك إنت وهاتبقى الهالة اللي بتنورلي حياتي والباقي كله مش مهم.

لثم يدي وجبيني وخدّي... ووووو..

***

- مساء الخير آسف اتأخرت شوية في الجرنال غصب عني.

نظرت له من خلف دخان سيجارتي البائسة

- أهلاً موفّق اتفضل ولا يهمك.

جلس وهو يلهث ويتصبب عرقاً خلع نظارته المليئة بالعرق والبخار وبدأ ينظف زجاجها وهو يختلس النظر لي من خلف سحابات الضباب المتصاعدة من الدخان.

سعل قليلاً وشرب كوباً من الماء وأنا صامتة تماماً في انتظار ما سوف ينبثق عنه هذا اللقاء السخيف.

- ليلى أنا كنت عايز أتكلم معاكِ من فترة بس دائماً كنتِ بتصديني بأسلوبك بصي مش هأعرف أزوّق الكلام أو أطول في الشرح أنا معجب بكِ ونفسي آخد فرصة للتقرب منك بس خلاص.

بالضبط ما توقعته منه فهذا اللطخ موفّق كان دائماً يحاول التقرب منّي بأسلوبه المنفّر لا فائدة ترجى منه أبداً، لا يعرف كيف يتعامل مع أنثى بالتأكيد زوجته ماتت كمداً بسبب إنّه لطخ.

سحقت سيجارتي المسكينة في طبق السجائر بشكل قاسٍ لدرجة إن جمرتها لسعت طرف إبهامي ولكنى لم أعبأ بالألم.

- موفّق انت بتقول إنك معجب بيّ من فترة وبتحاول تصارحني بإعجابك وأنا مصدقاك بس عايزة أقولك حاجة انت متعرفنيش، متعرفش غير اللي أنت شايفه شكل، مظهر، وظيفة بعملها، نصائح بقولها للقراء ممكن متكونش بتعبّر عن شخصيتي للأسف مش هاقدر أديك أمل إني أتجاوب معاك لأن الإعجاب والحب عندي مختلف تماماً الإعجاب ممكن يوصل لحب بس لما يكون موجود، وللأسف أنا

معنديش إعجاب بك، وده مش عيب فيك على فكرة، ممكن يكون عيب فيّ أنا لأني شخصية مركبة سيكوباتية صراحتي ممكن تكون قاتلة لي قبل ما تقتل غيري اعذرني أنا بحترمك بس مقدرش أوعدك او أتجاوب معاك بمشاعر تانية.

- بس أنا يا ليلى عايز فرصة ، فرصة بس عشان اثبت لك حبي أصلي حاولت أنساكِ أو أبطّل أهتم بكِ أو أفكر بس للأسف معرفتش.. معرفتش أشوف ست غيرك هاتسأليني إزاي؟ أقولك معرفش، يمكن حب من طرف واحد، يمكن عشان انتِ مثلي ملكيش حد وعايشة لوحدك أنا بعد مراتي ما ماتت الله يرحمها عايش في عزلة بنتي اتجوزت وهاجرت ومش بشوفها من ساعتها، معنديش إلا الكناريا بتاعتي ومتابعك في الجرنال، في مقالاتك، في كل حاجة متابعك وعايش معاكِ وبكِ.. عموماً فكري ومترديش دلوقتي، خدي وقتك أنا بعرض عليكِ قلبي وأتمنى تقبليه.

طلب شيك الحساب، والصمت ثالثنا..غادرت بدون أن أتلفظ حتى بكلمة وداع.

كيف أصبحت بهذه الشراسة ومنذ متى؟ لا أعلم..كل ما أعلمه أنني مرتاحة لقوتي الظاهرة أمام المتطفلين ،ما مررت به من مواقف علمتني أنّ الضعف قاتل، أصبحت لا أحب أن أظهره أمام البشر خصوصا الرجال المتنطعين.

مررت على عم عبده الذي دهش من خروجي من المنزل وأخذ

يرحب بي بطريقته التي تسعدني دائماً.. بعض القهوة الطازجة وهدية التونة لخليلتي الشيرازية.

طلبت منه بعض الطلبات لإرسالها لاحقاً ورجعت إلى البيت متعبة مثقلة بالأفكار، فتحت حاسوبي وكتبت بعض المقالات، وخطر لي أنني منذ زمن لم اكتب خواطر رومانسية تعيد التوازن لروحي، فكتبت.

الحصار يقتحمني ويأسرني .. يحتلني كلما اختليت بنفسي حتى بت أعتقد ان رأسي مسكنك وقلبي وطنك وعيني مرآتك.. محاصرة أنا حتى النخاع تأتيني على حين غفلة لا دواء يستطب به منك ولا شفاء منك إلا بك محاصرة أنا بك .

***

- يابنتي إنتِ وأحمد بقالكم أربع سنين مع بعض وكده كتير إنّه مايحاولش يتقدّم أو يخطبك حتى.

- يووه يا ماما كل مرة بتقوليلي الكلام ده وبقولك إنّه مش هايتقدم إلا لما أخلص كليتي.

- هي الخطوبة هاتمنعك تكملي كليتك يا ليلى ولا إيه مش كفاية إنكم داخلين خارجين ولا كأنه جوزك، لناس بتتكلم.

- إنتِ عارفة إني ميهمنيش كلام الناس مش هاتجوز إلا لمّا أخلص كليتي.. من فضلك يا ماما سيبيني أنزل دلوقتي عشان اتأخرت، وطبعت قبلة على جبين أمي التي أصابها الزمن فأصبحت فجأة عجوزاً بعد وفاة أبي..

كل وقتي في الكلية أو فى حضن أحمد، وباقي الوقت نائمة هاربة من العجوز القلقة ..حالمة بضمّة قويّة فى حضن من أعشق.

أمي تموت قهراً كل يوم وهي تراني أحادث أحمد وأقابله ولا تستطيع أن تفعل شيئاً يمنعني عنه وكل ما تفعله النصيحة والدعاء لي بصلاح الحال، وأنا أشفق على عجزها تجاهى وكأنّ الزمن لم يكتف بها فزادها هماً بي !

لا أنكر أني أتضايق كلما حاصرتني بأسئلتها المُدبْبَّة المعتادة، ولكني بت أتعاطف مع دوافعها، فهي تريد أن تتطمئن على ابنتها قبل أن تذهب لبارئها، خصوصاً أنّ الطبيب في آخر كشف لها نصحها بألا تجهد قلبها أكثر من اللازم..

- أحمد مش راح أسألك بتحبني أدّ إيه لا سؤالي إنت هتحبني لإمتى؟

- سؤالك غريب يا ليلي الحب ملوش نهاية، ليه بتسألي سؤال صعب كده وملوش إجابة عند بشر.

- أبداً أصلك بقالك فترة متغير من ساعة ما خلّصت الكلية وانت بعيد شوية لا شويتين ، أنا في سنة رابعة وإنت بتشتغل، ومش بشوفك إلا كل كام يوم بنيجي هنا بنتقابل وبنقضي كام ساعة مع بعض في السرير وبنروح حتى بدون ما نخرج أي مكان نتفسح فيه.. أنا بجد محتاجة أستقر وأرتاح من حياة الظلام وسرقة المتعة اللي عايشاها معاك دي.

لف ذراعه القوية على خصري وتوسّد صدري وقبّلني قبلة طويلة حيث أحب، وكأنّه يقيس رغباتى بمقياس ريختر الشبقى داعبنى ثم اعتدل قائلاً.

- إنتِ عارفة ظروف شغلي يا حبيبتي بحاول أعمل لنفسي شهرة ومكانة يعرفني الناس فيها، متنسيش إن شغلنا في الإعلام ولازم أبقى مشهور عشان نجاح الرجل في عمله أهم نجاح.

- عارفه بس..

- بس إيه

- أنا كمان محتاجة إنك تاخد خطوة في موضوعنا، بعد وفاة بابا أنا وماما بقينا لوحدنا ومش بنشوف بعض تقريباً إلا الصبح وأنا نازلة الكلية وهي نفسها تتطمئن عليّ، مش عارفة ليه مش متطمئنة لصحتها اليومين دول.

وكأنّى أدفعه ليحتوينى ويعتصرنى فى النور.

- خلّصي السنة دي، وأوعدك آخر السنة هاتقدم وأخطبك وأرتب كل حاجة متقلقيش.

أشعلت سيجارة بعصبية وأخذت نفساً عميقاً ونفثته في وجهه الوسيم ..دفعته إلى سرير الرغبة أحاول إطفاء توترى وإنتحاب الأنثى الثكلى بى.! وغرقنا في قبلات جديدة.

***

- عندما احببتك لم أكن أعلم ان حبي لك سيكون قيدي الأزلي

وبرغم أني امرأة حرة لم أتعود القيود فأنا أكثر حرصا على قيدي منك فهل رأيت سجينا يعشق سجّانه؟

انتهت سنتي الدراسية الرابعة بإمتياز مع مرتبة الشرف، وتم تكريمي من عميد الجامعة ولفيف من الاسأتذة ودكاترة الكلية.

أحمد كان مشغولاً كالعادة ولم يحضر نهى فقط كانت موجودة بحكم عملها كمعيدة وجوداً بارداً لا يخطؤه الإحساس.

تم عرض منصب معيدة عليّ، ولكنني رفضت المنصب لم أرد أن أصطبح بوجه نهى كل يوم لا يغريني صباحها المفعم بالسلبية تجاهي قرّرت أن أخوض الحياة بشهادتي بدون مناصب تربطني بالكلية أما أحمد فلم أعد أراه إلا على فترات بعيدة، وأمي توفيت بعد صراع مع المرض، أصبحت وحيدة تماماً في الحياة.

بت أميل أكثر إلى حياة السهر والشلل والأصدقاء، وكل هذا بمفردي ،أحمد كثيراً ما اعتذر عن لقائي في الآونة الأخيرة وأنا تهيأ لي أنني لم أعد أكترث حتى يوم الأحد الأسود وسميته «الأسود» لأنّ حياتي تلوّنت بعده بلون الغضب الأسود إلى الأبد.

- ليلى مش ده أحمد ونهى.

خطفت الجريدة من يد مشيرة وقرأت وقلبي ينبض بعنف.

- سبتوا بعض إمتى وليه يا ليلى عمرك ماقلتي لي إنكم سبتوا بعض.

- مسبناش بعض ، الحياة سابتنا شوية شوية هو ميستاهلش واحدة مخلصة مثلي ،نهى وهو يستاهلوا بعض.

- على رأيك دي مخلتش دكتور محاولتش ترتبط به ويظهر إن ضغط الأهل عمل عمايله خصوصاً مع الملايين والمصالح المشتركة.

خيم الصمت العنيف على جلستنا مع دموعي التي لم أستطع إيقافها أحسست برعشة برد أو ألم تعتصرني تزهق روحي فجأة.. قوة أكبر من قوتي على تجاهل الألم يا الله.. الألم نفسه الذي أحسسته عند وفاة أمي.. إعصار يخترق فؤادي ويبعثرني إلى المجهول

-أنا حاقوم بقى يا مشيرة مش قادرة حاسبي لي من فضلك سلام..

مشيت يومها لا أدرى كيف وصلت المنزل خلعت ملابسي في الطرقة ودخلت تحت البطانية أحاول تهدئة الرعشة التي اجتاحت كياني.

لم أحاول الإتصال بأحمد أبداً بعدها ولا هو أيضاً.

لم أرد أن أسأله لماذا،لا أريد مواجهته أرأف بنفسي من سماع كلام قد يؤلمني ممن كان يوماً أعزً وأقرب الناس لقلبي وجسدي.

جل ما آلمني اني اعيش به وهو كان يتعايش بي هذا الجسد الذي كان بالنسبة له معبداً يتعبّد به في ليالي الشتاء الطويلة هذا الجسد الذي استهلكه إلى حد الشبق ولم يمنعه أبداً ما فعلته من أجله عن طعني في صميم القلب يا الله ألمي لا يوصف لا يغيب ولا يموت .

ظللت جثة هامدة في سريري أياماً وليالي طوالاً يوقظني الألم والدموع فألجأ للمهدئات حتى أغيب عن الوعي.

سجنت نفسي في المنزل لا أخرج أهملت نظافة المنزل.. فقدت

الاتصال بكل من حولي لا أفتح الباب لبشر إلا للبقّال يحضر طلباتي فقط.. حتى مشيرة لم أرد على مكالماتها الكثيرة.. إلى ان سمعت جرس الباب وطرقاَ شديدا.

- افتحي يا ليلى أنا عارفة إنك جوه .

لم أرد على مشيرة ولم أحاول القيام من مكاني.

- مش هامشي من هنا ولو مفتحتيش أنا هخلي البواب يكسر الباب أحسن لك افتحي .

قمت بتثاقل المحتضر، فتحت الباب وتركتها واقفة ورجعت إلى الكنبة.

- إيه الي إنتِ فيه ده يا ليلى مش كفاية سبتك شهر كنت بطمئن عليكي من البواب أساله عنك ولما يطمني أمشي محدش يعمل أبداً اللي إنتِ عاملاه ده.

كانت تحدثني وهي تلملم أكياس القمامة وبواقي الطعام وتلم الأطباق والأكواب من فوق الطاولات وعلى الأرض.

- النهاردة مش هاسيبك يلا قومي خدي شاور والبسي عشان هاننزل.

- روّحي يا مشيرة مش عايزة أشوف حد ولا حتى انتِ.

- لا أنا قلت لماما إني هابات عندك كام يوم، فمتحاوليش أنا جاية بشنطتي وجايبة لك معايا شوكولا وعصاير، وكمان سجاير حشيش ملفوفة عشان نقضي مع بعض الوقت ومنفكرش بالرجالة اللي مبقتش رجالة.

- حشيش إيه بس يا مشيرة إنتِ عارفة أنا مش بشرب حاجة من دي.

- طب استني بس لما تجربيه هايعجبك خصوصاً في حالتك دي.

صمتّ وتركتها تنظف المنزل ثم تركتني أخلد إلى النوم دون أن تحاول التطفّل عليّ..

استيقظت على رائحة طعام شهية تملأ أرجاء المكان.. قمت من مكاني تعِبة تجرني الرائحة الشهية إلى المطبخ.

- أخيرا صحيتي، يلا كويس أنا خلصت الأكل عاملة لك دقيّة بامية بالضاني تاكلي صوابعك وراها مع رز بالشعرية بالسمنة البلدي.. عارفة إنك بتحبيهم.

ارتحت لمشيرة وأسلوبها المحّبب والمصرّ على الإعتناء بي وقررت الإستسلام لها تماماً، بعدها تلونت حياتي بطعم الجنون.

مع مشيرة عشت حياة بوهيمية... تعوّدنا أن نسهر كل ليلة مع شلة أقل ما توصف به أنّها ضائعة، معظمنا كان فاشلاً في غرامه، في دراسته، أو أحلامه.. فأصبحنا منبوذين بإرادتنا.. معظم أوقاتنا كانت في ديسكو مشهور في الزمالك بعد منتصف الليل لا أحد يسأل عنا ولا نسأل عن أحد. منقطعين عن الحياة الاجتماعية فيما عدا اللهو والسهر والعربدة.. كثيراً ما بت ليالي في بيوت رجال غرباء أنا ومشيرة كنا ثنائياً مثيراً، هي بمعارفها وأنا بجسدي.

- ليلى تعالي أعرفك على عصام مجنون موت هايعجبك.. أنا عارفة

ذوقك بتعشقي المجانين المغناطيس بتاعك مش بيشتغل إلا معاهم.

- أهلاً ليلى.

- أهلاً عصام.

طبع قبلة على خدّي واعتصر خصري بأصابعه بطريقة لها دلالة أرضت انوثتي المتوهّجة !

عصام شاب وسيم، بل إنّ وسامته كانت تضاهي وسامة عمر الشريف في شبابه.. مفعم بالحيوية، نظراته مزيج من الغرور والشقاوة.. يرتدي أفخم الملابس ويدخن أغلى أنواع السجائر الملفوفة بأفخر أنواع الحشيش، ويركب سيارة آخر موديل.. ابن أكبر تاجر ماشية، حياته كلها لهو وسهر وصخب ونساء.. لا يستمر في علاقته مع فتاة أكثر من شهر وبعدها يبحث عن واحدة ترضي رجولته المتدفقة وفحولته الظاهرة..هكذا يقضي وقته بعد رسوبه المتكرر في كلية الطب التي أجبره والده على الإلتحاق بها.. ينفق المال ببذخ شديد، وهو الممول الأوحد لشلتنا الضائعة.

أعجب بي منذ أن رآني أول مرة، وطلب من مشيرة أن تقدّمه لي.

أعجبني فيه أكثر نظراته المشتهية لجسدي..ينظر لي كأنني وجبته المفضلة، يشتهي جسدي فقط وليس عقلي، وهذا ما جعلني أستسلم له في أول لقاء جمعنا.

كان لقاء عاصفاً، أبدع في أن ينسيني كل لياليّ الحمراء مع أحمد.. امتشقني وكأنّه سيف صنع من فولاذ غير قابل للكسر، وجعل من

جسدي غمداً يرشق فيه هذا السيف العظيم.

كنت فرسته الجامحة، وكان فارسي الأبّي.. كل ليلة نقضي سهرتنا نلهو، نرقص، نشرب حتى الثمالة، ونمضي الليلة في شقته بالقرب من الديسكو، ويطلع الصباح ونحن لا نتعب من أجسادنا حتى وإن تعبت أجسادنا منّا.

كانت الغواية أصل الحياة.. أصل الوجود.. أصل العشق غير المباح.. كنا نرتشف طعم الغواية.. ننزلق بداخلها.. نحطم أسوارها وكل ليلة نرسل الحرس والعساكر إلى الحدود.. نذبحهم على النواصي.. نعربد في مدنهم ونطلق صيحات النصر، وندعهم يلملمون خطاياهم عن جدران الخطيئة..!

هكذا استمرت علاقتي بعصام شهوراً طويلة وكل مرّة أحاول التملّص من هذه العلاقة كان يخضعني له مرّة أخرى فأقتل الفكرة في مهدها.. فأنا لا أريد حباً، بل أريد اشتهاء، أريد متعة تنسيني ألمي، تنسيني احتياجي لأحمد.

....

- ليلى.. عايز أقول لك حاجة.

- خير يا عصام مالك.

- شوفي أنا عرفت بنات كتير قد ما يروح خيالك، مش هتعرفي عددهم. بنات أجمل منك، وأذكى منك، أطيب منك كمان عشان إنتِ شريرة أغلب الوقت، ومش حنينة عليّ أبداً.

- عايز تقول إيه يا عصام، لو عايزنا نرجع أصحاب تاني دون السرير اوكي معنديش مانع.

- شفتي! أنا مش عارف أكمل كلامي بسبب تسرعك في الحكم على الأمور.. اصبري شوية المرة دي واكتمي خالص.

توجّست خيفة، فهو منذ فترة أصبح رقيقا في معاملاته، يهاديني بالورود والمشغولات الذهبية القيّمة، يقضي كلّ ايامه معي ولا يفارقني حتى وأنا نائمة، إلى ان مللت هذا الحصار وهذه الحياة الماجنة.

لست أنا، بل ليست حياتي هذه الحياة الضائعة بلا هدف، ولكني صمتّ بانتظار ماتجود به قريحته بعد سيجارة فاخرة محشوة بالحشيش الأفغاني.

في الواقع كان ثملاً أيضاً، فهو لا يكفيه احتساء الخمر فقط، بل يقبل على كل المسكرات.. احتساء حد الثمالة.

- بصي يا ليلى وبجد ومن الآخر كدة أنا بحبك !

أسقط في يدي، لم أعرف كيف أرد عليه.. هل أقول له أنني لا أحبه.. أحب صحبته فقط، هداياه، سيجارته الفاخرة، وحديثه المشوّق أم أصمت؟

قررت أن اجاريه في الحديث، فأنا أعلم جيداً آخر علاقة له كيف انتهت.. الفتاة المسكينة تعاني إلى الآن من كسر مضاعف في كتفها، ولا أريد كسب عداوته بهذه السهولة.

- بطّل هزار يا عصام.. يظهر النوع المرة دي أصلي.
- مش بهزر يا ليلى، بتكلم بجد.
- طيب والجد ده آخره إيه يا عصام؟
- هانتجوز طبعاً.. أنا هأقول لوالدي يتقدم ويخطبك.
- هايتقدم لمين يا عصام؟ انت عارف إن بابا وماما تعيش انت.
- أكيد لكِ قرايب يتقدم لهم يا ستي.

نمت على صدره، اعتصرته بقوة ورغبة عارمة، وقبلّته قبلة طويلة، ثائرة، فيها كل الإغواء.

- طيب يا عصام.. خلينا ننام دلوقتي، وبكره نكمل كلامنا.

احتضنني بقوة واعتصر جسدي الملتهب بطريقة لم يفعلها قط... قضينا ليلة رومانسية شاعرية لأول مرة أحس بحبه وليس شهوته فقط مما أثار قرفي. لا أعلم لماذا فأنا لا أحبه ولن أحبه أيضاً، فمازلت أحب أحمد.

عندما قررت أن أتبادل مع عصام الحب الجسديّ، شحذت أسلحتي كي أغزو ضعفه واشتهاءه لي.. لم يكفني حبه ولا ضعفه ولا اشتهاؤه، كنت أريده جثة هامدة، فقط كي أرضي غروري بأنّ مثلي قتلت مثله عشقاً.

وفي الواقع المؤلم إن كل ما أفعله هو الإنتقام وعقاب جسدي الرخيص، هذا الذي اعطيته لأحمد بلا تردد بالحب واغترف منه دون مقابل، حتى الحب وكل ما استطعت أن أفعله هو الضياع لنسيانه، ولكن هيهات.

بعدها بدأت أبتعد رويداً رويداً، اخترعت آلاف الأعذار لكي لا أسهر مع الشلّة، تارة مريضة وتارة أخرى متعبة.

أما مشيرة فلم تألُ جهداً في الضغط عليّ كي تعرف ما الذي غيّرني، فاجأتني كثيراً بزيارات في منزلي، عيونها تبحث عن أدلّة لابتعادي ولكنها لم تجد سوى اللامبالاة مني، تركتها تمارس كل ألاعيبها المعتادة بدون أيّ تجاوب مني وآثرت الصمت.

مشيرة وبرغم حبها الظاهر لي، لكنها هي من أغوتني لحياة المجون والسهر والعربدة، وفتحت لي باب الإنحلال، كانت تتقرب مني كي تصحبني معها إلى مجتمع الليل كي لا تكون وحيدة ويكون معها شريك ميت الضمير، ضعيف الإرادة، يُقاد فينقاد بلا رادع، واختارت الوقت الذي كنت فيه أضعف من أن أرفض أو أفكر حتى بما آل إليه حالي.. بعدها انجرفت، ضعت، ولم أتراجع إلا عندما صارحني عصام بحبه وبرغبته بالزواج بي.

لا أدرى هل عُقدتي مع أحمد وكذبه المستمر في التقدم للزواج جعلني أمقت فكرة الزواج، لم يشنه حبي وصدقي وإخلاصي عن التمتع بجسدي، هذا الجسد الذي أصابني باللعنة، حتى أمي ماتت كمداً وهي تدعو لي بالستر والزواج، لن أنسى قط نظراتها وهي تودعني لآخر مرة ولن أسامح نفسي أبداً على ما مرّت به بسببي أنا وأحمد.

لازلت أذكر ليلة رحيلها، كانت تنام على صدري كالطفلة عندما توقفت آخر أنفاسها ولم أستطع سوى احتضانها بقوة والبكاء بلا

صوت حتى الصباح.. كانت أمي من أنجبتني فهذا الجسد كان بيتي عند نفخ روحي، عند حضور نور الحياة، وكنت أنا بيته عند مغادرته الروح وانطفاء شعلة الحياة به.

....

- إنتِ فين؟

- أنا في البيت يا عصام، خير مالك.

- بقالي كام يوم بتصل بكِ حتى جيت البيت ورنيت الجرس ومحدّش رد.. مالك بعدتي فجأة، إنتِ كويسة؟

- تعبانة شوية يا عصام مش عارفة مالي، اكتئاب يمكن بمر بمرحلة هدوء بعيد حساباتي مع نفسي أشوف أنا عايزه إيه.

- طيب ووصلتي لإيه؟

- لسه مش عارفة، شوف يا عصام مش هاضحك عليك، علاقتنا كانت من الأول صحبة ورغبة مجنونة وده أبداً مش سبب كافٍ للزواج.

- معنى كده إنك مش بتحبيني وبترفضيني.

- لا خالص.. بالعكس إنت الإنسان الوحيد اللي قريب مني حالياً، بس كل الحكاية إني مش لاقية نفسي في العلاقه دي.

- مش فاهمك ومش عاجبني الكلام.. لو فيه حدّ تاني قولي.

- هو ليه كلامي يتفسر بالشكل ده يا عصام، صدقني أنا بس مش عايزه أظلمك معايا في علاقة غير متكافئة.

- طيب إيه رأيك نجرّب نرتبط بدون جنس، ونشوف الحياة ماشية إزاي، صدقيني أنا بحبك ومتعرفيش إنتِ عملتِ إيه في حياتي، يا ليلى أنا عمري ما أخلصت لواحدة.. كانت البنات عندي زي العربية اللي بغيرها كل سنة.. زي السيجارة أمتص دخانها وأرميها كالعقاب المحترق.. إنتِ غيّرتِ كل ده وبقيتي أهم من أي حد أنا عرفته وقابلته.. بقيتي كل حياتي، أرجوكي خلينا نرتبط وبعدين قرري، وأوعدك هاحاول أكمل دراستي وأنجح عشان تصدقي إني اتغيرت.

- طيب يا عصام ابتدي إنت وخليني معاك، بس من فضلك ماتضغطش عليّ في موضوع الخطوبه حاليًا.

- زي ماتحبي بس من فضلك ماتسيبينش وهاتشوفي إني هابقى قدّ الوعد.

لم يكن سهلا على عصام أن يتغير فجأة لمجرد إنّه أحبني، كان كثيراً ما يلح عليّ في السهر معه، أحياناً كنت أضعف فنسهر سوياً ويحاول أن يغريني ان أذهب معه أو يأتي معي ولكنني كنت أرفض، وكلما ازددت إصراراً على البعد عنه ازداد إصراراً على التمسّك بي لم يف بوعوده، ولم يتوقف عن السهر واحتساء كل أنواع المسكرات.. فيوماً يذهب للكلية وعشرة لا يذهب، يتصل بي ليلاً في منزلي يطالبني بالحضور، وأحياناً كثيرة لا أرد على الهاتف بعد منتصف الليل وأتعذر له هاتفياً في الصباح بالنوم مبكراً، حتى حدث ما حدث عندما صحوت على صوت طرق عنيف على باب شقتي.

- افتحي يا ليلى أنا عارف إنك صاحية افتحي.

تجمّدت مكاني، لقد جنّ عصام ولا أعرف كيف أواجهه وهو ثمل.. ياربي ماذا أفعل؟ سمعت صوت جارنا الحج حمدي يصرخ بصوت عالٍ.

- حد يطلب البوليس الراجل ده سكران.

- آدي بلاوي الست ليلى الي بتجيبها لنا آخر الليل.

هكذا ردت عليه زوجته بصوت عال قاصدة أن يصلني صوتها بهذا الكم من الحقد، فهذه المرأة كثيراً ما حاولت التدخل في حياتي بعد وفاة أمي، ولكني كنت أصدها، وهاقد أتت لها الفرصة كي ترد لي الكيل وتصطادني.

فتحت الباب لعصام الغاضب الذي لم يكف عن الصراخ والسباب، أمسكني من رقبتي وألصق جسدي بالحائط.

- إنتِ بتلعبي بيّ أنا! ماعاشت ولا كانت اللي تلعب بعصام.

مادت بي الأرض وكدت أختنق وأصابعه التي كانت من اسباب سعادتي يوماً تزداد ضغطاً على عظام رقبتي التي كادت أن تُسحق تحت قبضته.

- عصام أنا بموت اسمعني ..

نظر لي بشراسة وغضب فأحسست أنه سيقتلني إن لم احاول تهدئته، وفجأة حضر الجيران وحاولوا الإمساك به فثار أكثر وحاول أن يضربهم ولكنهم كانوا أكثر منه عدداً.

- حد طلب البوليس يا جماعة وهم على وصول.

حاصروه فسقط كالثور الهائج، تنازلت عن المحضر بعد تدخل والده ووالدته، بعدها حاول لشهور طويلة أن يعتذر لي ولكني لم أقبل اعتذاراته وطلبت منه الكف عن مطاردتي، وعندما تأكد له رفضي بشكل قاطع ابتعد كسيراً ضائعاً.. بعدها أسدلت الستار على قصتي مع عصام وحياة اللهو والعبث من حياتي.

***

فتحت حاسوبي كي أطرد اشباح الماضي وأعيد ترتيب مقالاتي لإرسالها إلى الجريدة فلفت نظري رسالة إلكترونية غريبة المحتوى.. لأول مرة أقرأ رسالة من قارىء بهذا الأسلوب السلس في الكتابة.. واضح أن المرسل على قدر كبير من الثقافة ودماثة الخلق.

- غاليتي ليلى ترددت كثيراً قبل إرسال رسالتي لكِ، ولكن ما دفعني أخيراً إلى اتخاذ قراري هو معرفتي الشخصية بك لسنوات طويلة.. فعندما كنتِ يا عزيزتي في سنتك الجامعية الأولى كنت أنا معيداً في كلية الإعلام وكنت كثيراً ما ألمحك وإنتِ تحضرين محاضراتي.. نضرة كالوردة البتول التي لم يطلها ندى الصباح قط.

ابتسامتكِ كانت سر جمالك وسر إعجابي الدائم بك، تابعتك بنظراتي بإحساس خجل ولا أدرى بعد كل هذه السنين لم لا أزال معجبا بكِ برغم أنني عندما يئست من أن ألفت نظرك إلى أن تخرجتي في الجامعة وانقطعت أخبارك، تزوجت وأنجبت البنين والبنات حتى إني سميت ابنتي البكر بإسمك.

أنا يا غاليتي كنت أضع رهاني كله عليكِ من بين جميع الطلبة والطالبات، الحصان الرابح كنتِ مهرة بالفعل لكنك كنتِ جامحة لا ترين الا أحمد.. وكل يوم كنت أمنّي نفسي بأن يبتسم لي الحظ وتسأليني أي سؤال يتعلّق بالمحاضرة لكي أستطيع بدء الحديث معك، ولكني لم أنل هذا الشرف.

والآن بعد عشرة أعوام تسلحت بقلمي، بأدبي، بشوقي الذي لا ينضب.. أن أتجرأ وأرسل لك رسالة، أتمنى أن تصلك وأن تنال حيزاً ولو بسيطاً من اهتمامك.

المخلص دائماً محمود..

يا الله.. د.محمود؟ لم أتذكره أبداً، حاولت عصر ذاكرتي المهترئة، أن أتخيل شكله ولكني لم أفلح، تباً للنسيان يمضي ويترك الذكريات المؤلمة ساكنة إلى الابد كالأشباح في البيوت المهجورة ويخلف وراءه الأحلام صرعى.

فكرت أن أرسل له رداً مقتضباً.. ولكن لماذا لا يكون ردّي شكرا واهتماماً برجل عشت بداخله سنين طويلة، انتابني الفضول لمعرفة هذا المحمود، وأحببت أن أعرف لماذا أحبني كل هذه السنين بدون مقابل أو دون مبادلتي لمشاعره أو حتى معرفتي بوجوده من الأصل، فكتبت رداً عليه ..

- عزيزي د. محمود، بدءاً دعني أشكرك على مشاعرك النبيلة التي أضحت نادرة الوجود، فكيف لرجل أن يحب امرأة عشرة اعوام

دون ان يطلب لقاءها أو أن يلمّح لها أو تعلم بوجوده في الدنيا؟ فأنا يا سيدي امرأة تعلمت الحب على يدي أستاذ متمرس أقنعني يوماً أن الحب عطاء، تواجد، احتواء وليس مشاعر تسبح في الهواء.. درّبنى ان آخذ من الحب غايتي، ومن العشق وسيلتي للحياة ولم أصادف رجلاً مثلك أحب بلا طائل أو تبادل للمشاعر.

أشكرك مرة ثانية لإتاحة الفرصة لي كي أعلم أنّ الحب قد يكون جارنا، حولنا، نتنفسه دون أن نشعر به يحفّنا من كل جانب كتب عليه أن يظل مسجوناً خارج القلوب المنكسرة ولا يقتحمها أبداً.. دمت لتلميذتك دائماً نعم الأستاذ المحب .

ليلى

أرسلت الرسالة وأشعلت سيجارة أخرى، وفي ثوانٍ أتاني الرد:

- غاليتي ليلى.. اسمحي لي أن أشكرك على اهتمامك بالرد، واسمحي لي أن أتجرأ أكثر وأطمع في مقابلة منك قد تضع النقاط على الحروف أكثر فأشرح لك ما استعصى عليكِ فهمه، وأبيّن لك ما في نفسي بشكل مباشر ..

المخلص للأبد محمود

لا أدرى بعد آخر رسالة من محمود كيف راودني الإحساس بأنني بطلة لفيلم هندي، تخيّلت نفسي ألبس الساري المرزكش بألوانه الزاهية وأغني بصوت ناعم وحولي البنات يرقصن، ومحبوبي يغنّي لي تحت شباك نافذتي المزروعة بكل أنواع الورود والزهور والفل

والياسمين ومعه الشباب يغنون ويرقصون ياللروعة، الحب يفعل المعجزات، ولكن محمود يزعم أنّه يحبني من طرف واحد، وأنا لا أعرف له شكلاً أو ملامح فلأقابله إذن.. من يعلم قد تتحول قصة الحب الهندية لقصة حقيقية أو تظل سراباً يعيشه صاحبه فقط..

- عزيزي د. محمود- شرف لي أن أقابل أستاذي بعد كل هذه السنين.. هل يناسبك غداً الساعة 6 مساء في المقهى بالقرب من الكلية، ولكنّي للأسف لا أذكر ملامحك- وانتابتني روح الفكاهة وأكملت الجملة- هل ستضع وردة بيضاء في عروة الجاكت كي أعرفك أم تلبس الطربوش بالعكس؟!

- غاليتي.. سأكون بانتظارك على أحر من الجمر، ولا تقلقي عندما أحضر، ستذكرين ملامحي بدون طربوش، ولكن بالتأكيد مع الكثير من الورود الحمراء.

...

كعادتي كل ليلة... أمتطي ظهر غيمتي الشاردة، حيث تحملني إلى ذكريات كانت في يوم ما من أحب اللحظات لقلبي.. عوالم أضحت كثيرة، بعيدة، شاهقة كبناء خرساني يرتفع ليلة وراء ليلة، وكلما مررت بها أرأف بنفسي لما وصل إليه حالي من برود وتحجر في المشاعر وانعدام الثقة.

فهنا كنت متعلقة بصدر أحمد اتدفأ عشقاً وشوقاً وأصطلي بناره التي كانت برداً وسلاماً على جسدي المتأجج عشقاً، وها هنا

كنت أترنح بين يديه مستسلمة لأحاديثه وهو يصارحني بحبه مراراً وتكراراً، وهنا في هذه الجنة الوارفة كنت أعيش العشق مرات ومرات.. أمتطي عبثية المتعة التي تحوّلت إلى كابوس أحمق يطاردني لما تبقى لي من عمر.

وفي هذا الركن الوردي، أنا وهو نتحادث همساً وشوقاً، ويتحول حديثنا لقبلات تحرق ما تبقى لنا من أحاديث أخرى، وأصحو ككل صباح مكدرة المزاج أنفض الغيمات العابثة من فوق سريري، أبعثرها كيفما شئت، وأجعلها تتحرق شوقاً لترحالنا الليلي المعتاد.

***

في السادسة تماماً وصلت إلى المقهى، كان في الشارع الموازي لكليتي القديمة، شارع هادئ نسبياً مقارنة بشوارع القاهرة المزدحمة ليلاً نهاراً.

فتحت الباب فسمعت صوت جرس صيني معلّق فوق الباب، وتفحّصت الجلوس فلم ألمح رجلاً جالساً بمفرده، أو تنطبق عليه مواصفات د.محمود كما تخيلته، رجلاً نحيفاً، قصير البنية،.يرتدي نظارة طبية سميكة، يلبس ألوأناً قاتمة وقميص قطني ناصع البياض.. وقور، هادىء، قليل الكلام، متحفظ، وجهه يوحي بالحزن.

هكذا تخيلته، لا أدرى لماذا؟

جلست في ركن قصّي، كانت أنغام الموسيقى الغربية الهادئة مناسبة لتهدئة أعصابي المتوترة، قلة النوم وترددي الكبير للحضور،

مع الذكريات التي سيثيرها حوارنا عن الماضي، كنت أجتر قلقي بالنقر على زجاج الطاولة مع نغمات الموسيقى.. أشعلت سيجارتي المليون في محاولة فاشلة لاغتيال رئتي اللعينة واجتثاث قلقي الذي كاد أن يجعلني قاب قوسين أو أدنى أن أطلق لقدمي العنان هاربة.

فجأة سمعت صوت جرس الباب.. نظرت ناحيته فرأيت رجلاً طويلاً رماديّ الشعر وسيم الملامح هادىء الخطى يقترب من طاولتي..

- أهلاً ليلى.

- أهلاً د. محمود.

الحق يقال كان محمود وسيماً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، وبطريقتي المتمّرسة التقطت ملامحه بسرعة، جسد رياضي ممشوق وملابس تدل على رفعة الذوق.

يدان فيهما من الرجولة الكثير، أظافر نظيفة مقلّمة بعناية، حتى حذاؤه كان لامعاً نظيفاً يدل على تناسق ملائم مع ما يرتديه من ألوان، عيون خضراء مع رموش كثيفة، أنف إغريقي وشفاه كأنما خلقت من أجل القبل فقط.

لجمت مشاعر الأنثى بداخلي من أن تتحرك ورسمت ابتسامة لطيفة بريئة على وجهي الملائكي وحاولت أن أركز على ماسيقوله، كان يحمل باقة ورود حمراء قدّمها لي بكل لطف.

- لو قدرت أجيب لك البستان كله مكنتش هتأخر عنك يا ليلى.

كان ينظر لي نظرة عاشق، متيّم، مغرم من أنفه حتى قدميه.. أما أنا فأحسست بتقلّص في عضلة لساني، لم أعرف بماذا أجيب غير الشكر على الباقة العطرة.

- يااه يا ليلى أدّ إيه كنت بحلم بمقابلتك بقالي سنين، مكنتش مصدّق نفسي لما رديتي عليّ، تخيلت إني بحلم حتى إني قرأت الرسالة عشر مرات أو عشرين مش فاكر حفظتها حتى من كتر ما قرأتها.. آه صحيح إزيّك !

بعد كلمة إزيّك وابتسامته المشرقة.. أحسست براحة أزالت عني رهبة اللقاء الأول، أحسسته يحاول أن يمتص توتري ويحتوي قلقي..

- الحمدلله يا دكتور..

- من فضلك قولي لي محمود بس، أنا هنا مش دكتور وشاور إلى قلبي وأتمنى أكون هنا كمان محمود.

أسقط في يدي فمنذ حضر يسّلط رجولته الفذّة على أنوثتي الضعيفة ويسحق قوتي تحت إحساسي بالعجز المطلق، ولكن يجب أن أتراجع قليلاً وأهدىء الأمر، فأنا لا أعرفه مطلقاً برغم إصراره على معرفته الوثيقة والقوية بي.

- محمود.. ياريت تفكرني بالأوقات اللي كنت بتشوفني فيها، عايزه أفهم أكثر الحالة الي أنت فيها من فضلك.

اعتدل في جلسته وأسند أكتافه العريضة إلى ظهر الكرسي، اتكأ على ذراع المسند ونظر لي نظرة سلبتني ماتبقى لي من مقاومة.

- حاضر يا غالية.. أنا كنت معيد، اتعينت في أول سنة إنتِ جيتي فيها الكلية، وشفتك أول مرة في المحاضرة كنتي لسه تايهة مش عارفة حد، حسيتك خايفة وقلقانة وسارحة، مكنتيش مركزة خالص في الشرح وعذرتك.. بس وقتها كنت هاموت وأتعرف عليكِ وأعرف صاحبة الوجه الملائكي، وهو اللقب اللي أطلقته عليكِ.

قعدت أبص لك وأنا بشرح، حتى الطلاب لاحظوا ده عليّ وأنا مخدتش بالي إلاّ لما لقيت ابتسامات كتير بتواجهني وكتير من الإبتسامات كانت موجهة ناحيتك، فقت وقتها واستنيت تسأليني بعد المحاضرة، لكنك مشيتِ بسرعة وأنا حاولت ألحقك، لقيت أحمد مستنيكِ على الباب رجعت وسبتك. وبقيت بتابع لقاءاتك بأحمد بعد كل محاضرة حتى فقدت الأمل تماماً إنك تشوفيني أو حتى ألاقي فرصه أشرح لك فيها مشاعري.

- ياه يا محمود.. رجعتني لسنين طويلة فاتت، معقولة إن فيه حد ممكن يكون متابع حد، والحد ده مش شايفه، كانت عينيّ متغمية كده!..

- أنا لسه فاكر لون بلوزتك إللي كنتِ لابسها أول مره شفتك فيها، وفاكر تسريحة شعرك كمان، فاكر حاجات كتير أوي إنتِ نفسك نسيتيها عنك.. أحمد كان واخد عقلك تماماً وكنت بحسده كتير، حتى لما عرفت إنّه خطب زميلتي نهي ماستغربتش لأني كنت عارف في النهاية إنّهم لبعض.

- طيب أنا عندي سؤال يا محمود.. ليه محاولتش توريني نفسك أو حتى تلمّح؟

- مقدرتش..كرامتي كانت ع المحك طالما فيه إنسان في حياتك كان لازم أبعد .

- مممممم.. معاك حق أنا مكنتش شايفة غير أحمد.. أحمد الوهم الجميل المخادع اللي عشته أربع سنين.

- للأسف أنا ارتبطت قبل ما أحمد يعلن خطوبته على نهى ومكانش ينفع أسيب مراتي عشان أقولك تتجوزيني، لأني كنت خلاص اخترت حياتي.

- طيب إيه اللي خلاك فكرت بيّ دلوقتي.

- عمري ما نسيتك يا ليلى أوعى تقولي كده تاني أزعل منك .

- يا إلهي، إنّه يأسرني بأسلوبه الرقيق ووسامته المزعجة التي أصبحت عبئاً ثقيلاً على مقاومتي..

- أنا كنت متابعك حتى لما انضميتي لشلّة مشيرة.. كنت بعرف أخبارك، وكتير حسيت إنّي السبب في اللي إنتِ فيه.. حسيت إنّي إنسان سلبي لأني ماحاولتش أتدخل بس أنا أكتر من إنّي شايفك كنت حاسك وكنت عارف إنك ساعتها هاتتعاملي معايا كضحية من ضحاياكِ وكنت هابقى كارت محروق، ففضلت الانسحاب والمشاهدة من بعيد فقط.

اعتبريها سلبية عانيت منها سنين طويلة.. حتى فريدة مراتي كانت

كتير بتعاني من سلبيتي معاها.. مكنتش ببقى على طبيعتي إلا مع ليلى بنتي.. بعيش معاها أحلى مشاعر، حتى إبني معتز أمه اللي ربته ومكانش يهمني إلا ليلى بنتي وبس عشان هي على اسمك.. عشت ليها فترة طويلة لحد ما بقت في سن المراهقة جميلة زيك، وأنا بقيت بقعد بعد الشغل كتير لوحدي، بقرأ كتاباتك وبشجعك وبثني علي المقالات الجيدة وفي الآخر قلت لازم أقابلك وأقولك وأعرفك إني كنت دائماً موجود زي ظلك، وقررت احوّل وجودي من الظلام إلى النور .

- محمود.. انت بتقول كلام حلو ومؤلم في الوقت نفسه، متخيل هايبقى رد فعلي إيه عليه ؟

- عايزك بس تسمعيني وتفهمي دوافعي، مش عايزك توعديني بحاجة ولا أنا هاقدر أوعدك بحاجة.. أنا بس عايز ألمس الحلم اللي عشته سنين طويلة في مخيلتي وأحوّله لواقع.. أشوفك وأسمعك وحتى أشّم عطرك عن قرب.. السجن اللي حبست نفسي فيه بعيد عنك عايزك إنتِ بس اللي تفكي أسره وتطلعيني منه.. بس عشان أبقى ماسك إيدك.

لمست أصابعه الدافئة بيدي المثلجة الأطراف فأحسست بدفء يسري في أوصالي، ودمي بدأ يتحرك ودورتي الدموية انتعشت..ياإلهي، هل هذا حب، أم رغبة، أم احتياج !

انتفضت ساحبة يدي بلطف وطلبت منه أن نتواصل على الأقل هاتفياً لفترة ما قبل أن نتقابل سوياً مرة أخرى أو أخيرة، لا أعلم.

أنهيت اللقاء على عجل هربت منه؟ لا أدرى، ولكنه أحس حتما بما انتابني في حضرته فوافق على إنهاء اللقاء بأدبه وأسلوبه الرفيع.

أصبح محمود روتيناً يومياً في حياتي بقوة مشاعره ولطف أحاسيسه. اعترف لي بأنّه كثيراً ما أرسل مشكلة افتراضية كي أحلها له ضمن مشاكل القراء الأسبوعية، وأنّه كثيراً ما كان يكتب لي رسائل غرام لا يرسلها أبداً ولازال يحتفظ بها في درجه الخاص ملفوفة بشريط أرجواني حريري.

كنت أنتظر مكالماته اليومية على أحرّ من الجمر، وكنت كثيراً ما أنتقد نفسي، وأتساءل هل أحببته فعلا أم أنّه ملأ فراغاً كبيراً في حياتي، والأغرب أنّي ما أحسست بالفراغ إلا مؤخراً فقط عندما هاجمتني التجاعيد اللعينة وأحسست بخطر الشيخوخة المبكرة والعيش وحيدة إلا من خليلتي ذات الذيل الأبيض.

ما عاد يعنيني كثيراً أنّه زوج وأب، ما عاد يعنيني إلا أنّه يحبني فقط مثلما كنت أتمنى طوال عمري حباً عذرياً أفلاطونياً عظيماً.. هذا هو الحب الذي تمنيته وكنت دائماً ما أكذب على نفسي وأظن أنّ من أحببتهم او أحبوني كانوا فعلاً في حالة غرام، كانوا أوهاما أو مجرد محطات وقفت فيها قليلاً كي أتعلم من الحياة.

تقابلنا كثيراً، وكل مرة يقبل يديّ ويهديني باقة فوّاحة من الورود الجميلة ويبثني غرامه وهيامه في كل مرة بشكل يجعلني أنتشي من السعادة ولم لا؟.. فهو رجل وسيم يحبني منذ سنين طويلة حتى

عندما تزوّج لم يخنّي قط، هكذا قال.. لكن لماذا عليّ أن أصدقه! إنّه في النهاية رجل.. واستفقت من شرودي على صوته..

- ليلى عايز أعترف لك بحاجة بس مش عارف هتفهميني ولا لأ..

- قول يا محمود.. إنت عارف إني بحب أسمعك وأي حاجة هاتقولها أكيد هافهمها صح.

- من فترة طويلة علاقتي بفريدة مراتي أخويّة تماماً، حتى إنّي بنام في أوضة منفصلة زي ما قلتلك قبل كده ومعنديش أية ميول عاطفية أو حتى جسدية ناحيتها، والحقيقة إنّي حتى مش بخونها ولا حاولت.

هنا بدأت تنتابني الشكوك، فهو وسيم جداً وتفوح الرجولة من ثناياه وتعابيره الجميلة..

- طيب ده بسبب حبك ليّ ولا بسبب إيه بالظبط ؟

- مش عارف! مش حاسس إن ناقصني الموضوع ده أبداً ولا حتى معاكِ .

بدأت أركز أكثر في تفاصيل الكلام وأنتبه لكلامه بشكل جعل ملامح وجهي تتقلص بشكل ظاهر.

- اتضايقتِ مش كده؟

- لا أبداً.. أنا بسمعك بس وبحاول أفهمك.

- كل اللي عايزه منك إنك تفضلي معايا، عايز أعرف أنا ليه فقدت اهتمامي بالجنس الآخر ويمكن ده السبب اللي خلاني أطلب مقابلتك بعد السنين دي كلها، هل حبي لكِ حوّلني لرجل معندوش أية رغبات

جنسية لأني عشت سنين طويلة كل اللي في حياتي وخيالي إنتِ بس كنت بشوفك إنتِ المرأة اللي عمري ما رح أمَل منها أو حتى أزهدها، ولما قابلتك حسيت إنّي عايزك إنتِ وبس، عايزك بجد ومش عارف بصراحة أكتر عايزك تكوني إنتِ العلاج.

هنا تأكدت من شكوكي فهو عاجز جنسياً ولا يستطيع أن يمارسه مع امرأة وإن كنت أنا العلاج فكيف أطمئن إلا إذا لم أمارس الجنس معه؟

- أنا معاك يا محمود مش هاسيبك لحدّ ما تبقى كويس إن شاء الله .

- بحبك.

- وأنا كمان.

انتهى اللقاء كالمعتاد بعد أن أوصلني لمنزلي وطبع قبلة على يدي ثم ذهب. يومها توقعت أن يطلب مني ان يصعد لشقتي ولكنه لم يفعل.

استمرت علاقتنا فترة اكتفيت فيها بالرد على محادثاته التليفونية وكنت أتهرب من المقابلة كل مرة بعذر مختلف، كنت أحتاج وقتاً للتفكير في علاقتي بمحمود.. فأنا لا أحبه، فقط أحببت حبه لي وإخلاصه حسبما كنت أعتقد وأسلوبه في معاملتي، لكني منذ آخر لقاء أصبحت لا أتحمل سماع صوته الهامس بكلمات الحب.

بعد عدة إيام فاجأني بالقدوم إلى بيتي صباحًا دون موعد مسبق،

فتحت له الباب وأنا بملابس النوم ولأول مرة أراه غير مهندم، طويل اللحية، أشعث الشعر، تحيط الهالات السوداء بعينيه.. لأول مرة أراه عجوزاً أو أرى عجزه على حقيقته.

- خير يا محمود.

- أبداً وحشتيني ومحتاج أتكلم معاكِ.

- آسفه يا محمود مش هقدر أستقبلك في البيت في وقت زي ده، ومش هينفع نتكلم على الباب.. خلينا نظبط ميعاد بالتليفون.

انصرف محمود غاضباً.. وبعدها تعددت إتصالاته ورسائله لكني لم أرد، تأكدت أنّه بعد وقت سيفطن إلى موقفي الرافض أن أكون مجرد وسيلة لإستعادة فحولته بعد أن أراد اقناعي بأنّ حبه لي هو سبب فقدانها.. لم يفهم أنّ عقلي هو منتهى عاطفتي، ومن لا يحترم عقلي لا أحترم عاطفته أبداً.

أغلقت صفحة محمود للأبد، ولم أسمع عنه بعدها وانتهى هذا الفصل من حياتي تماماً كأنه لم يكن أبداً ورجعت إلى روتيني اليومي، وإلى كتاباتي المملّة، وإلى قرائي التعساء ومشاكلهم، وإلى محاولاتي المستميتة لقتل رئتي التي تقاومني ببسالة منذ سنين طويلة...

***

- ليلى..!

نظرت لمصدر الصوت... كان مألوفاً ولكن الشكل لا أعرف صاحبته.

- أيوة أنا ليلى.

وهي تقبّلني وتحتضنّي بقوة.

- إزيّك يا حبيبتي معرفتنيش ولا إيه إخص عليكِ.

نظرت إلى ملامحها جيدا و ..

- مشيرة..!؟

- عرفتيني أخيراً.. وحشتيني يا ليلى والله تصدّقي إنك مبتروحيش من بالي على طول بفتكرك وبفتكر أيامنا الجميلة.

جميلة..! قاتلك الله يا مشيرة كنت أهرب منكِ ومن ذكرياتي معك.. أهرب من نفسي كي لا أتذكر أيامي معك التي اعتبرتها سجلاً أسود في تاريخ حياتي.

- بس قوليلي يا مشيرة اتغيرتي كده ليه إيه اللي حصل؟

- قصدك الطرحة؟ آه مأنا اتجوزت بعد ما سبتينا بفترة رجل أعمال وعضو مجلس شعب، والطرحة دي كانت لزوم إتمام الشكل المطلوب مني بس.

- آه يعني جوزك أجبرك عليها؟

- لا خالص أنا لبستها عشان..هابقى أقولك بعدين.

انتبهت إنّها تمسك بيد طفل في السادسة من عمره لطيف الشكل ولكن ملامح وجهه تدل على الضجر والملل.

- أهلاً معرفتنيش، ابنك يا مشيرة؟

- عصام آخر العنقود.

- أهلاً إزيّك عصام .

نظر لي بلا مبالاة، ولم يكلّف نفسه عناء الرد وأشاح بوجهه بعيداً ينظر إلى الفراغ، من الواضح أنّه غير مهتم بالحديث معي ولا يرغب في معرفتي. حسناً إذن يجب أن أرحل قبل أن تتشابك علاقتي بمشيرة مرة أخرى وتطلب مني لقاءً آخراً أو وسيلة للإتصال بي، هيا اهربي حالاً يا ليلى بدون أن تتركي بصماتك في مكان الجريمة.

- انبسطت إنّي شفتك يا مشيرة بس لازم أمشي عندي ميعاد شغل حالاً.

- هاتي نمرتك.. المرة دي مش هاسيبك تختفي زي كل مرة لازم نتقابل تاني وتالت، أنا بحبك يا ليلى أوي طول عمري وإنتِ كنتِ صاحبتي الوحيدة في الدنيا دي ماتعرفيش أنا من غيرك ضايعة إزاي.

يا مشيرة إنتِ ضائعة بي أو بدوني، عبارة كانت على لساني ولكن منعني حيائي أن أتفوه بها.

- يلا هاتي نمرتك لا استنى، هاتي موبايلك أنا هارن لنفسي منه مش ضامناكِ .

انسحبت بسرعة غير عادية أو بالأحرى كنت أهرب من مشيرة الكائنة اللزجة التي أحياناً كثيرة ما أتمنى أن تختفي من العالم كله، وأحياناً أخرى أظن أنني أكن لها مشاعر جميلة بعض الشيء، لا أعلم حقيقة مشاعري ناحية هذه المخلوقة العجيبة فأنا أعلم أنّها تحبني، ولكنها تحبني كي تأخذني معها إلى القاع، إلى حيث اللا عقل واللا منطق واللا أخلاق.

وكما تنبأت لم يمض يومان حتى اتصلت بي مشيرة.

- ليلى وحشتيني إزيّك.

- إزيّك إنتِ يا مشيرة.

- إيه رأيك أجيلك أو نتقابل في أي مكان بره، الصبح أنا فاضية على طول.

بعد تردد قصير، أعلم انّها لن تتركني إلا وقد قضت مني وطرها، وأعلم أنني سوف أقاطعها مجدداً، وككل مرة أكون وحيدة وضائعة نفسياً، أحتاج أن ينتشلني أحد ما من وحدتي القاتلة، رفقة أو ونس بعيداً عن عملي ومشاكل قرائي أجبت.

- طيب أخلّص بس أشغالي وأكلمك نحدد ميعاد.

- هستنى منك تليفون ماتتأخريش عليّ.. عندي كلام كتير علشانك عايزين نرغي زي زمان يا لولو، وحشتيني بجد.

- حاضر.. هاكلمك أول ما أفضى ونحدد ميعاد نتقابل يا مشيرة.

اتصلت بمشيرة بعد يومين من الضجر والفراغ والصمت.

- أيوه يا مشيرة إيه رأيك نتقابل في الكافيه اللي في التجمع الخامس أظن إنك ساكنة جنبه؟

- آه أنا في التجمع فعلاً وهو قريب من بيتي.. نص ساعة وأبقى عندك.

- خلاص أنا هالبس وأنزل.

وصلت للكافيه بعد نصف ساعة، كان هادئاً إلا من بعض الحبيّبة

المحتلين زوايا المكان في هدوء وحميمية، مشيرة كانت سبقتني وجلسنا نتحادث ونتذكر الماضي اللعين.

- تعرفي يا ليلى لما بعدتِ أنا حسيت بوحدة فظيعة وضياع.

وكأنّها لم تكن ضائعة من قبل أن أعرفها، حتى حروفها كانت كذباً وتظاهراً بالعفّة.

- أنا يا ليلى عايزة أعترف لك بسر بس ارجوكِ متزعليش مني إنتِ عارفة إني قدامك ببقى عريانة من كل حاجة وبتكلم معاكِ من قلبي.

بالتأكيد مشيرة تعشق هذا النمط من الكلام والادّعاء بالضعف والحب.

- قولي يا مشيرة مفيش حاجة هاتصدمني فيكِ.

- إنتِ لسه مدبّ كده يا ليلى ماتغيرتيش أبداً ولا السنين غيرتك شكلاً ولا مضموناً ، يمكن ده اللي بيخليني أحبك أكتر إنتِ كتاب مفتوح وبعتبرك مرايتي اللي بتوريني حقيقتي.

بعد ماسبتوا بعض إنتِ وعصام كان حزين ومكسور وضعيف، وأنا كنت بتصل بكِ كتير بس إنتِ قفلتي بابك عني، معرفتش أوصلك وحسيت إنك بتشيليني من حياتك زي عصام، أو بتحاولي تلغي الفترة اللي عرفتيني فيها وكانت فترة ضياع وعذرتك لأني كنت بدأت أتعب من اللي أنا بعمله في نفسي، زهقت من التسالي والناس اللي عايزة تقضّي وقت يوم يومين وخلاص، وقتها كنت مكسورة لبعدك وحصل اللي حصل بقى.

- مش فاهمة حصل إيه يا مشيرة وضّحي أكتر وخلّي كلامك مباشر إنتِ عارفة إنّي بحب الوضوح.

- أنا وعصام دخلنا في علاقة كانت فيها طبطبة أكتر من أي حاجة تانية. اتقربنا أكتر وكنت محتاجة له وهو كان محتاج لي، قضينا مع بعض وقت طويل، وفعلاً بدأ ينتبه لدراسته وأنا كمان، وحبيته وهو بيقول انه حبني، ولو إنّه دايماً كان بيجيب في سيرتك عمره ما نساكِ، وده كان سبب إنّي سبته بعد كدة..حسيت انه واخدني مهدىء أو علاج عشان يفضل في سيرتك وكأنك مسبتهوش، كان في عزّ أوقاتنا الحميمة مع بعض بيناديني بإسمك وكنت بموت لما بيحصل ده كنت بكرهك، مش بكرهك بمعنى الكلمة لكن كرهت نفسي وكرهت علاقتي بعصام، تعرفي إنّي لسة بحبه لحد دلوقتي وسميت ابني على إسمه لأني مقدرتش أنساه.

كنت أسمع مشيرة بأذني وعقلي وليس بمشاعري، وكأنّها قارئة من قرائي تقول مشكلة تخصها وجنبت عاطفتي تماماً حتى لا أكرهها أكثر ولا أقسو عليها او أنهي مقابلتنا بشيء من الغباء.

- وبعدين ..حصل إيه؟

- أبداً.. خلصت كليتي واتقدمت لوظيفة عن طريق صديق بابا في شركة كبيرة وبدأت أهتم بنفسي وبطلت أعرف حدّ معرفة طيّاري، كنت عايزه أبني نفسي بشكل جديد، وراهنت نفسي إنّي هانجح وأتفوق على نفسي، وحبيت أظهر قدراتي اللي كنت بدفنها تحت

أكوام من اللهو والضياع.

شريف صاحب الشركة كان متابعني وبيشجعني، كنت مديرة مكتبه وبدأ يلمّح لإعجابه بي، أنا كنت مقررة إني مش هادخل أي علاقات محرّمة ولا عايزه أضيع نفسي تاني بعد ما لقيتني، كنت بتعامل معاه على إنّه صاحب الشغل فقط بدون ما يكون للأنثى دور في علاقتنا العملية.

فضل ورايا يحاول يغريني بالهدايا القيّمة والترقيات وزيادة الراتب وأنا ثابتة وماتهزتش وف الآخر قرر أنّه يتقدم لي.

بيني وبينك أنا ماحبتوش، لكن حبيت فكرة إنّي أتجوز جوازة محترمة، راجل مقتدر ناجح في عمله وداخل بالحلال فوافقت وفعلاً اتجوزنا وعشت معاه أول سبع سنين راضية برغم انه كان مش مقصر معايا أبداً مادياً كان مغرقني هدايا وبنسافر على طول وكل اللي بحتاجه كان بيجيلي قبل ما أطلبه.

الحقيقة مقدرش أقول عليه إنّه وحش، بس أنا يا ليلي مكنتش سعيدة، كنت حاسة بفراغ عاطفي، إحساس الأنثى عندي بدأ ينتبه وبدأت أبص حواليّ ناقصني إيه؟ ناقصني إحساس راجل يعرف يتعامل مع أنوثتي، شريف كان صحيح رجل شرقي، بس مش بتاع لف وستات ولا علاقات حياته كلها لشغله وبيته وأولاده فقط.

مخبيش عليكِ كان عنده قصور وضعف جنسي، وعشان كده كان بيعوضني مادياً لأنه مابيعرفش يتعامل مع أنثى، مابيعرفش يمدح

أو يقول كلام غزل. كان بيحبني بطريقته وبس، كأني حاجة غالية بيحافظ عليها من الخدش أو الكسر، تمثال في حياته مش أكتر ولا أقل.

- ياه يا مشيرة يعني إنتِ اتجوزتِ وخلفتِ وعشتِ مع راجل مش بتحبيه، طيب ليه كل ده، ليه ماطلبتيش الطلاق، أو ليه اتجوزتيه أصلاً بدون حب.

- كان لازم أتجوز.. إنتِ عارفه المجتمع ونظرة الناس، وأنا قبل شريف جرّبت الحب وجرّبت الرجالة وشفت إنّه معظم اللي مروا عليّ كانوا شايفيني حته لحمة طرية شهية ياكلوها وتتهضم وينسوها الصبح مش أكتر، أما شريف حسسني إنّي إنسانة أستحق إنّي أعيش حياة كريمة. بس..

- كملي يا مشيرة سامعاكِ بانتباه.

- فضلت عايشة كده لحدّ ما قابلت عصام تاني بالصدفة.. كنت مع جوزي وكان هو لوحده في عشاء عمل.. كان قاعد شارد بيشرب ومش شايف حدّ قدامه.

- هو لسه ضايع كده يا مشيرة ماتغيرش أبداً.

- لا عصام بقى حاجة تانية، عنده محلات مجوهرات وذهب ومعروف في السوق كويس أوي، بس اتجوز وطلّق أكتر من خمس مرات، وخلّف من كام واحدة ومخلّفش من الباقي، بيطلق ما بيكملش.

المهم ليلتها عرّفته على جوزي وبقى صديق جوزي كمان، ومن ساعتها أنا اتغيرت، بدأت مشيرة القديمة تنطّ لي كل شوية تشدني للماضي بقوة.

قطع حديثنا هاتفها المحمول برنينه الذي لا يتوقف.

- أيوه يا شريف أنا مع قريبتي ليلى..آه خلاص أخلص وأروّح حاضر.

- سألتيني ليه لبست الطرحة..عشان شريف من فترة بدأ يشّك فيّ ويراقبني واضطريت أقوله إنّي بحضر دروس دين وتحفيظ قرآن، ولبست الطرحة عشان أريّحه من الشك ويريحني من التحقيق كل شوية والخناق.

إذن هذه هي مشيرة حقاً، لا فائدة منها المبدأ الأزلي عندها الغاية تحقق الوسيلة لبست الحجاب كي تبعد عنها شك الزوج أو المجتمع وليس لأنها أرادت التقرب إلى الله بنافلة أوعبادة حقيقية، أكثر ما يثير استغرابي بمشيرة إنّها تثق بي ثقة عمياء، تفتح لي قلبها تماماً بدون أن يهمها أي أمر حتى لا يهمها أن كانت فكرتي عنها سلبية تماماً..هي تحبني بلا شك لكنها شخصية غير سويّة، وأنا لا اعتراض لي على تصرفاتها فهي امرأة راشدة حرة، ولكني أعترض على وجودها في حياتي مرة أخرى وجرّي معها لمستنقع الخيانة هذه المرة بحجة أنني الوحيدة التي تأمن لها وتعلم أنّي لن أخونها او أفشي سرها.

واصلت مشيرة حديثها وأنا لاهية عنها أفكر بطريقة للخروج من

هذا المأزق، حتى فاجأتني بأنّها تقيم غداً حفلة عيد ميلادها في فندق الفورسيزون، وتطلب بل ترجوني الحضور، فوافقت ببساطة أدهشتني شخصياً!

- مين اللي جاي يا مشيرة.. إنتِ عارفه اني مش..

- ماتكمليش.. عصام مش جاي اتطمني هو مسافر.

لم أتم جملتي وهي فهمت ما أرمي اليه، هذه هي مشيرة، ذكاؤها يسبق توقعاتي دائماً.

غريبة أنا ! فمنذ خمس دقائق فقط كنت أفكر بخطة آمنة للهروب، والآن أوافق على الانغماس أكثر فأكثر في حياتها وحضور مناسبة عائلية..

لماذا هذا التخبط يا ليلى، هل تنتوين الرجوع للماضي..؟

لأول مرة لا أصارح نفسي بحقيقة الأمر كل ما همني هو كيف سأبدو غداً في الحفلة ماذا سألبس، ومن سأقابل !

تزيّنت كما لم أتزين سابقاً، لبست رداء خمري اللون كنت أحضرته من باريس السنة الماضية ولكنّي لم أضعه على جسدي أبداً، حاله كحال كثير من قطع الملابس التي في الدولاب، جديدة كعذراء لم يلمسها بشر بانتظار المناسبة السعيدة التي أرضى بانتهاك عذريتها فيها.

عندما وصلت الاحتفال كانت مشيرة وزوجها متواجدين.. عرّفتني على شريف، شخصية كئيبة نوعاً ما لا يبتسم إلا للضرورة أو لمصلحة

ما، في العقد الخامس من عمره أحمر البشرة بعيون ملونة كالثعلب، يدخن سيجاراً كوبياً فاخراً ويتكلم بصوت عالٍ وبكثير من الترفع، ولكنه يرمي ترفعه جانباً عندما يرى شخصية مهمّة مثل معظم رجال الأعمال، عيناه تبحث دائماً عن المنفعة وليس للعلاقات الإنسانية ثمن عنده.

رحبت مشيرة بي ترحيباً حاراً كعادتها وأجلستني إلى طاولة كبيرة، كنت بمفردي عندما قامت لتستقبل بقية المدعوين.

توافد الضيوف يرتدون أفخر الثياب، كان الاحتفال باهظاً ماعلمته أنّ شريف كل عام يحتفل بعيد ميلاد مشيرة، يعزم رجال الأعمال وزوجاتهم ويبرم بعض الصفقات، أي أنّه يسترد ليلتها ما أنفقه على مشيرة وأكثر.

لا يهم لا يعنيني كيف يعيش هؤلاء القوم، فأنا أريد أن أتواجد الليلة فقط كي أخرج من شرنقتي، وأرتاح قليلاً من صوت رأسي الذي يحادثني يومياً ولا يفارقني، أريد بشراً أتحدث معهم حتى وإن كنت لا أطيق تصرفاتهم أحياناً!

- ليلى.. أحب أعرّفك على طارق شريك شريف رجل أعمال عايش معظم وقته في إسبانيا وماسك فرع الشركة هناك.

ومالت على أذني هامسة: «أرمل، وسيم عايزاكِ تعيشي يا ليلى اغتنمي الفرصة لأني لاحظت إنّه معجب بكِ من أول ماعينه وقعت عليكِ، مش هاوصيكِ عدي الجمايل يا حبي».

تركتني مع طارق وذهبت لمدعويها مرة أخرى.

- أهلاً ليلى شرف لي إنّي أقابلك النهاردة فرصة سعيدة جداً، أنا متابعك من زمان ومعجب بآرائك وأسلوبك الرشيق في الكتابة.

ابتسمت بلطف ومددت يدي إلى طارق الذي أمسكها بكل اهتمام وطبع قبلة على معصمي بشكل أثارني، فمن عادة الرجال أن يقبّلوا ظهر اليد، ولكن طارق كان مختلفاً جداً..!

لم يكن وسيماً بمعنى الكلمة لكنه كان عنواناً للأناقة والرجولة، معتدل القامة بشارب عريض، يدخن السيجار الفاخر أيضا كشريف ومن الواضح من بدلته السينيه ودبوسه الماسي أنّه يهتم جداً بمظهره ويعرف ماذا يرتدي.

- أهلاً طارق سعيدة بمعرفتك.

- ممكن أقعد معاكِ أنا لوحدي ومش بحب الدوشة وزي مإنتِ شايفه الدوشه هنا كتير أوي.

- أكيد اتفضل ، تشرفني.

تحادثنا ليلتها كثيراً، حدثني عن إسبانيا وجمال شواطئها، عن النساء عاريات النهود، وعن جمالهنّ العربي الأصل، عن بيته الذي اشرف على بنائه بنفسه عند سفح الجبل، وعن مملكته وقصة كفاحه وكيف أصبح ثريا، انبهرت بحديثه اللطيف وأسلوبه الرفيع في الحوار والتعامل، قمنا نطفىء الشمع ونتمنّى لمشيرة حياة سعيدة مديدة مع شريف وبعدها طلب مني طلباً غريباً.

- ليلى أنا زهقت من الدوشة، إيه رأيك نكمل سهرتنا في النايت كلوب تحت، هادىء، ناخد درينك خفيف ونتعشى ونكمل حوارنا.

ومع تحفظي على الدرينك الخفيف لأني لاحظت أنّه يشرب الكحول بنهم إلا أنني لم أمانع أبداً، بل سعدت باهتمامه الشديد بي.

نزلنا إلى النايت كلوب، مكان مظلم بعض الشيء تتوزع اضواؤه ذات اللون الأزرق التركوازي في الأركان مكان مثالي للحبيَبّة أو السكارى.

تبادلنا أطراف الحديث مرة أخرى بكثير من الهدوء وبصوت منخفض أقرب للهمس سألني عن حياتي، فتحفظت بعض الشيء ولم ألمّح للماضي كل ما ذكرته عملي وحياتي الهادئة وقطتي البيضاء رفيقتي المثالية.

طلب مراقصتي فلم أمانع، وعندما احتضنني أحسست بسخونة جسده، رائحته مميزة جداً ولكنه كان محترفاً، فلم يحاول أبداً ان يلغي الحدود بين جسدينا، يعرف كيف يتعامل مع المرأة، وكان هذا كافياً كي أتقبل وجودي معه بهذا الشكل.

يومها أصَّر على إيصالي لمنزلي، تركت عربيتي يقودها سائقه الخاص. وعندما وصلنا قبّل يدي بنفس الأسلوب الذي اتّبعه معي أول الليلة، تمنّى لي ليلة سعيدة وطلب رقم هاتفي كي يطمئن علّي في اليوم التالي.

لأول مرة أنام نوماً عميقاً منذ سنين طويلة، لم تراودني كوابيس

أحمد ولا كوابيس عصام، ولم أر غيماتي العزيزات ككل ليلة يتضاحكن ويتغامزن ويفترشن سقف غرفتي كعادتهن، لأول مرة منذ سنين أنام قريرة العين..!

فتحت عينّي على صوت رسالة على هاتفي من طارق.

- «صباح الخير أتمنى تكوني قضيتِ ليلة هانئة بعد سهرة الأمس الجميلة، وحشتيني!».

- «صباح الخير طارق أيوه نمت نوماً هنيئاً والفضل يعود لصحبتك الجميلة بالأمس».

رن جرس الهاتف

- صباح الخير المرة دي بالصوت.. حبيت تكوني أول حد أسمع صوته.

- صباح الورد طارق ميرسي على سهرة امبارح.

- لا وهتشكريني كمان على سهرة النهارده.

- هو فيه سهرة النهارده؟

- آه وغداء وإفطار كمان، إيه رأيك هاعدي عليكِ نروح نفطر سوا في النادي.

- مممممم أصلي لسه صاحية، وعادة مش بفطر.

- لا هاتغيري عادتك دي، نص ساعة وأبقى تحت البيت وأرنلك.

أغلق المكالمة ولم ينتظر مني حرفاً آخر لم يعطني وقتاً للرفض أو القبول.

لبست بلوزة بيضاء بخطوط زرقاء ، ربطت شعري ذيل حصان ووضعت أحمر شفاه خفيفاً وعطراً بلون اللافندر .. عندما رآني قبّلني على وجنتي قبلة خفيفة، كانت رائحته طيبة، رائحة الليمون المنعش، فأنا لا أحب الروائح الرجالية الثقيلة التي يضعها البعض كي يلفتوا نظر النساء وهي في الواقع منفّرة، فتح لي باب السيارة وأغلقه بعد جلوسي.

تحدث حديثاً لطيفاً عن حبه للإستيقاظ مبكراً، وكيف يحب قضاء صباحه في النادي، يفطر ويقرأ الجريدة ويبحث عن مقالاتي .

أختلست النظر له بين الحين والآخر.. مهندم، يلبس حسب المناسبة، لفت نظري إنّه رشيق الحركة صباحاً عكسي أنا تماماً، أحسست بأنني لأول مرة أحب أن أكون منقادة لرجل، لا أرغب فى اتخاذ القرارات هذه المرة، سلمت له زمام أمري ولجأت إلى أنوثتي أستلهم منها التصرف.

قضينا الوقت نتحادث في شئون الحياة، عن الموسيقى، وماذا يحب في المرأة عموماً.. أسهب في الحديث عن زوجته التي توفيت مؤخراً.. إسبانية عاشت معه راضية بحالته المادية المتواضعه قبل أن يصبح ثرياً، كانت تحبه وكان يعشقها، لم ينجب منها لأنها كانت عاقر فحبه لها أنساه رغبته في تكوين أسرة وأطفال، حتى بعد وفاتها لم يرغب في أن يتزوج من غيرها.

كان يوماً رائعاً، لم أملّ من صحبته أبداً وهو كذلك، الكيمياء التي

حدثت بيننا كانت مثيرة للدهشة، عند انتهاء السهرة أوصلني وطبع على خدي قبلة لطيفة، قبلة أخرى ثم قبلات أخرى اعتصر بها شفتي المرتعشة..وأيضا للمرة الثانية لم أرفض أوحتى أوافق.

تعال بجانبي أعلمك كيف للفريسة تكون صياداً، افتح لك عالما من الدهشة والمستحيلات..الفريسة تهرب من صيادها وانا كنت فريسة إلى أن رأيتك فقررت اصطياد صيادي، أعدو باتجاهك أركب حد نصل أنوثتي ، أغرزه في قلبك إلى العمق إلى حد الألم المثير، فلا تستطيع مني فكاكا أو حراكا حتى ألتهمك والتهم رجولتك وأتركك بلا قلب.

أصبحت صحبة طارق هي روتيني اليومي، قضينا شهراً معاً كان من أجمل أيام حياتي، سافرنا وقضينا أيامنا بلياليها نتحادث، نتسامر، نغرق في عشق أوصلنا لمراحل متقدمّة من الانسجام العاطفي والجسدي.. كان متمرساً في فنون العشق كعازف ماهر يحرك أنامله على معشوقته الموسيقية فيخرج منها أحلى النغمات، يشعل أنينها تارة ويهدأ أوتارها تارة أخرى، يعلم جيداً مايثير المرأة وما لا يثيرها حتى أصبحنا كجسد واحد لا ينفصل!

كعادته كل ليلة يحتضنني وأنا ممددة بجانبه مسترخية بعد قضاء سهرة عاصفة مرمية الأطراف هنا وهناك، أشعل سيجارة ونفخ دخانها في وجهي المتورد.

- ليلى عايز أطلب منك حاجة.

قام وفتح درجاً بجانبه، وأخرج منه علبة قطيفة كحلية اللون.

- افتحيها من فضلك.

قمت متكاسلة ألّف الروب على جسدي المرهق وألملم شعري الغجري المجنون.

- يا إلهي هل سيطلب منّي الزواج..هل هذا وقته؟

كان ذهني مشتتاً وعقلي غائبا وإدراكي تحت الصفر، فتحت العلبة لأرى خاتماً ماسياً ذو فص كبير جداً.

- طارق أنا..

- أنا قررت إننا نتجوز.. أنا بحبك يا ليلى ومش هاقدر أعيش وأكمل حياتي من غيرك.

يا إلهي طارق قرر الزواج مني رغم أنّ علاقتنا لا ينقصها هذا الشرط، فأنا بعد علاقتي بأحمد لم أعد أهتم إن كان من أحبه يتزوجني ولا أحاول حتى دفعه لهذا القرار بل أصبح عندي عقدة شمطاء من فكرة الزواج.

- طارق أنا..

- من غير ماتكملي أنا قررت وهارتب كل الإجراءات والترتيبات، وعلى الأسبوع الجاي هاكون خلصت الحجوزات عشان نسافر إسبانيا نعيش في بيتنا هناك.

- فجأة كده وبالسرعة دي يا طارق، متنساش إننا متكلمناش في الموضوع ده قبل كده ولا حتى لمحنا له.. يعني إديني فرصه أفكر،

فرصة أرتب نفسي..أقرر حتى.

- قصدك إيه فاجأتك؟ مش فاهمك.. مش بتحبيني زي مابحبك، علاقتنا كانت تسلية بالنسبة لك؟

أقلقني غضبه المفاجىء ولكنني قررت أن أستوعب غضبته وأن يكون ردي ليناً..

- لا يا حبيبي.. أنت عارف إنّي بحبك وبتمنّى أقضي حياتي معاك، بس الموضوع محتاج أرتب شغلي وحياتي عشان أقدر أسافر مش أكتر.

- حبيبتي خدي كل وقتك، هاسيبك تخلصي أمورك وأنا أظبط كل الإجراءات ما تقلقيش وإنتِ معايا أبداً، كل اللي عايزاني أساعدك بيه هابقى معاكِ فيه.. إحنا بنتجوز عشان إنتِ تبقي معايا وأنا أبقى راجلك.. عمري مابصيت لعلاقتي بكِ على أنّها قضاء وقت وبعد ما عاشرتك اتأكدت من إحساسي ناحيتك ومش عايز أسيبك أو أخسرك أبداً.

- وأنا كمان يا طارق حبيتك، عمري ما أخدت علاقتي بك على أنّها تسالي أبداً وإلا مكنتش استجبت لك ولا كملت معاك .

احتضن جسدي واعتصرني بذراعيه بقوة الرغبة وأحرقني بناره الشهية.. وأكملنا حديث أول الليلة مرة أخرى بل مرات أخرى، لم تكن اجسادنا تمارس حباً بل كان الحب ما يمارسنا وشتان مابينهما!

مرّ الأسبوع على عجل، ولم أعرف من أين أبدأ ولا كيف أنهي ما

بدأته.. بدأت أرتب أوراقي المبعثرة وأخذت نصف إجازة مفتوحة من الجريدة ووعدتهم بإرسال المقالات في وقتها واستمراري في الكتابة ولكن بمعدل أقل، رتبت ملابسي التي سآخذها معي، لكن ظلّت عندي مشكلة كبيرة، استخراج أوراق قطتي لآخذها معي إلى إسبانيا، كانت إجراءات معقدة بعض الشيء ولكنّ طارق بعلاقاته أنهى كل الترتيبات بسرعة قياسية.

تزوجنا بسرعة عجيبة وأقمنا احتفالاً هادئاً في مطعم روسيني اقتصر المدعوين على بعض الأصدقاء المقربين فقط، منهم مشيرة وشريف بالطبع التي كانت فرحة جداً بزواجي وسفري، ولا أدرى لماذا توجست خيفة من فرحها بزواجي من طارق، ولكني لم أتوقف طويلاً عند إحساسي الغريب هذا فكل ما كان يشغل بالي حياتي الجديدة مع طارق.

قضينا شهر العسل في المالديف، شهراً كاملاً من العسل اللذيذ، طارق كان زوجاً لطيفاً حنوناً، عوّضني كثيراً عن أيام حرماني ووحدتي، حمدت الله إنّه وضعه في طريقي كي أقضي بقية حياتي معه.

رجعنا بيتنا بعد شهر العسل منهكين من التعب، لم يكن بيتاً بالمعنى الحقيقي وإنما قصراً مترامي الأطراف على سفح جبل أخضر وموج البحر اللازوردي ينام على جنباته.

كان القصر يحتوي على عدد كبير من الصالونات ذات الطابع الشرقي القديم وكثير من الأجنحة المؤثثة والمجهزة بالكامل لاستقبال

أي عدد من الضيوف في أي وقت، يكتظ بالتحف واللوحات والمشغولات ذات الطابع الأندلسي القديم، كان متحفاً بحق.

أما جناح النوم الرئيسي فيمتاز بشرفاته الكبيرة التي تطّل على البحر، أثاثه من خشب الزان العتيق ذو اللون البني المميز، والستائر بيضاء ناصعة تذكّرني بأفلام السينما الكلاسيكية في الثلاثينيات، شعرت بالراحة وكأنني أميرة من أميرات الأندلس، عشت الحلم ..!

بعد فترة قصيرة من الوقت اعتدت حياتي الجديدة، طارق يدير معظم أعماله المكتبيه من خلال مكتبه في القصر، يقابل العملاء والضيوف وأحياناً كثيرة كان يأتيني متلهفا لقبلة حارة أو مداعبة تجعله يشتاق للرجوع مرة ثانية بعدها بقليل كي يأخذ جرعة حنان إضافية.

كان طفلاً كبيراً، أحسست معه كأنّي رجعت لطفولتي، اعتدت الدلع والقبلات وإجابة كل طلباتي أياً كانت في التو واللحظة.

إنّه الرجل الذي يجعل زوجته دافئة طوال اليوم، يدفىء جسدها بلمساته، ويدفىء قلبها بحبه واهتمامه، كان حبي له مختلفاً عما عهدته من عاطفة في حياتي، كثيراً ما ناديته بعشيقي وهو ناداني بعشيقته، لم يكن الزواج هو مايربطنا، كان رباطنا عهداً مقدساً متفرداً خلق من أجلنا فقط .

...

- حبيبتي أحب أعرفّك على صديقي المقرب سعادة السفير عاصم، سفيرنا في اسبانيا.

- أهلاً مدام ليلى يشرفني إنّي أتعرف على حضرتك، طارق حكالي كتير عنك، والحقيقة أنا شايف انّه ظلمك أوي.

- ياخبر يا سعادة السفير ظلمني؟ أبداً طارق عمره ما يعرف يظلم، أكيد حضرتك بتبالغ.

- أبداً يا مدام ليلى، حضرتك أحلى وأشيك بكتير مما سمعت، يبقى ظلمك ولا لا.

- هاهاها ميرسي على الكومبليمو ده سعادة السفير، انت النهاردة شرفتنا ونوّرتنا، وأتمنى حضرتك تكون مستمتع بالحفلة .

- طبعا مستمتع كالعادة واكتر طارق طول عمره كريم وحقيقي بيعرف يحتفي ويهتم بضيوفه، ودائماً بقوله أنا مش ضيف أنا صأحب بيت.

- طبعا يا سعادة السفير حضرتك قبلنا هنا، مش محتاجة كلام.، طارق ياما حكى لي عن حواديتكم وانتم لسة طلبة، وعارفة مقدار معزتكم لبعض.

- طيب حيث كده أنا اسمي عاصم بس وإنتِ اسمك ليلى ولو إنه صعب عليا انطقه بدون القاب، بس بقول كفايه مجاملات.

- طيب يبقى حضرتك بعد ما تدوق أكلي تحكم على ذوق طارق إن كان عرف يختار ولا لأ .

- من قبل ما دوق عرف يختار يا فندم.

انتهى حفل استقبال عاصم على خير وجه، استمتع بالطعام الشرقي وبالإستقبال وحفاوتي أنا وطارق به، أخبرني طارق أن عاصم أقرب صديق له منذ الطفولة ولا يزال، وهو من طلب منه الحضور لإسبانيا والعمل هنا.

- تعرف يا طارق كنت فاكرة أن شريف هو اقرب أصدقائك.

- لا يا ليلى شريف بتربطني بيه شراكة عمل فقط، إحنا مش أصدقاء مقربين وعمرنا ما نبقى أصحاب قريبين.

- بصراحة إنت حاجة تانية.. وبرغم إنّي معرفتش شريف أوي بس ما ارتحتش له وحسيته غيرك خالص، حياته وتعامله مع مشيرة حسيتها تمثيل مش زيك بتتعامل من القلب يا حبيبي.

ارتحت لمعرفتي أن طارق وعاصم أصدقاء طفولة، وأحسست بالراحة إنّه سيكون لي معارف من بلدي في هذا البلد الغريب، ولو أن طارق كان يغنيني عن معرفة كل البشر.

كانت مشيرة كثيراً ما تحادثني هاتفياً وتحكي لي بعض مشاكلها مع شريف وحكاويها الماجنة مع عصام، كنت كثيراً ما أعتذر لها وأضطر لاختراع سبب ما لإنهاء مكالماتها السخيفة.

عاصم كان نعم الصديق لزوجي ولي أيضا، كثيراً ما كان يحلّ ضيفاً أسبوعياً في منزلنا، رجل من الزمن الجميل، لطيف العشرة، هادىء الملامح، لم يكن يعيبه سوى حبه الشديد للوحدة التي كنا نسعى أنا

وطارق دائماً لإخراجه منها ودفعه للإنغماس في حياتنا بشكل أو بآخر.

- ممكن أدّي نفسي الحق وأسألك ليه ماتجوزتش تاني بعد أول تجربة زواج يا عاصم.

- عشان عاصم مش وسيم زيي يا حبيبتي ولا دمه سكر ولا بيعرف يحب أصلاً سيبك من اللي هايقوله أنا حافظه، هو مش بينفع غير يعيش الخيال أجاب طارق ممازحاً.

- بلاش إنت يا طارق، أنا أعرف عنك حكاوي هاتخلي ليلى تبيتك على الكنبة برة، خليك لطيف مع صاحب عمرك إللي عارف كل حاجة عن تاريخك الأسود يا طروووقة.

- طارق حاكيلي عن كل مغامراته يا عاصم بس أكيد فيه حاجات مقالهاش، هانبقى نتكلم فيها سوا أنا وإنت.

انفجرنا ثلاثتنا في ضحك مجلجل، بعدها أردف عاصم مجيباً على سؤالي

- بجد بقى، تقدري تسألي اي سؤال يخطر على بالك وإنتِ عارفه إني دائماً برحب بكل أسئلتك وبجاوبك بكل صراحة.

شوفي يا ستي، بعد تجربة طلاقي الأولاني خصوصاً إنّه كان زواج صالونات، لأن والدي ووالدتي الله يرحمهم كانوا بيفضّلوا النوع ده من الزيجات، اكتشفت أنّ الزواج ده مشروع إجتماعي صرف.. يعني مثلا أنا لو مكنتش حابب الست اللي هارتبط بيها وعايز أقضي كل حياتي معاها يبقى أتجوزها ليه، ليه أخلف منها وأجيب للدنيا طفل

ملوش ذنب غير إنّي حبيت أكّون أسرة.

وممكن تكون أسرة غير متحابة.. فقط عشان أخلد إسمي في البطاقة أو يبقى لي وضع إجتماعي معين.. فقررت من وقتها إنّي مش هاتجوز تاني إلاّ لو حبيت بجد إنسانة وحسّيت إنّي مش هاقدر أعيش من غيرها وانها كل النساء في نظري، وللأسف محصلش الكلام ده تاني بحكم طبيعة عملي مش كتير بختلط في الأوساط الإجتماعية ومعظم معارفي رسمية نوعاً ما، بس ياستي دي قصتي باختصار.

- معقولة بتفضّل حياة الوحدة على إنّك ترتبط بحد محبتوش، فكرتني بنفسي قبل ماعرف طارق، عموماً أنا فاهمة كويس شعورك ده وإن شاء الله أكيد ربنا هايوفقك باللي تستحق إنك تقضي معاها بقية حياتك وإنتم مبسوطين وسعداء.

مرّت الأيام جميلة..هادئة..رائعة، كان طارق فيها أكثر من زوج وصديق وحبيب، ولكنّي بدأت أقلق على صحته مؤخراً، أصبح لا ينام كثيراً، وعندما يخلد للنوم بعد معاناة يصحو فجأة وهو يتصبب عرقاً وبدأ يعاني من آلام شديدة في كل أنحاء جسده، كثيراً ما ألّححت عليه للذهاب إلى طبيب لكنّه كان يرفض رفضاً تاماً.

- طارق أنا هاطلب الدكتور ييجي البيت، حالتك الصحية قلقاني، مش هاقدر أشوفك كل يوم بتتعب كده وانت مصمم متروحش لدكتور.

- يا حبيبتي أنا حديد متقلقيش عليّ.. هازعل منك لو فكرتِ تجيبي دكتور، بجد مش هزار.

كان صوته واهناً ضعيفا ولكن حازماً جداً أيضاً، من الواضح إنّه كان يعاني من آلام حادة يخفيها عني، إلى أن لمحته مرة يتصبب عرقاً ويتأوه بصوت متحشرج فلم أنتظر، اتصلت بعاصم وطلبت منه إحضار طبيب على وجه السرعة، فليغضب طارق إذن، لن أنتظر الإذن منه وأنا أراه يتعذب يومياً أمامي.

أتى عاصم ومعه الطبيب على وجه السرعة، وبرغم نظرة اللوم في عينّي طارق إلاّ أنّه استسلم من شدة آلامه لم يعد في إمكانه حتى الغضب.

أجرى الطبيب كشفاً طويلاً وطلب منه الكثير من تحاليل الدم وأعطاه حقنة مهدئة، تحدث قليلاً مع عاصم حديثاً مقتضباً ورحل.

- عاصم أنا قلبي مقبوض، ماله طارق؟

بعد صمت قصيرأجاب عاصم.

- الطبيب شاكك في حاجة معينة والتحاليل هاتبين.

- شاكك في إيه يا عاصم، من فضلك أنا بتقطع بقالي أسبوع بتعذب، وهو مش راضي يسمح لي أجيب له دكتور، بس خلاص فاض بيّ، ماله طارق يا عاصم.

كان صوتي غاضباً متألماً مشحوناً بالقلق.

- الدكتور شاكك في سرطان الدم «لوكيميا».

فترة صمت طويلة أعقبها بكاء مكتوم، حاول عاصم أن يهّون علّي وإن كنت أعلم أنّه يحتاج إلى من يهّون عليه أيضا.. طارق كان توأم

روحه وعشرة عمره ولكنه حبيب عمري.

جاءت التحاليل لتثبت إصابة طارق باللوكيميا اللعينة، وبدأت رحلة العلاج أو المعاناة، رحلة الألم.. وصف له الطبيب جلسات كيميائية يقتل فيها كريات الدم المصابة بالمرض كي ينتج جسده كريات أخرى جديدة سليمة، وهكذا حتى يختفي المرض تماماً من الدم.

كان طارق بعد كل جلسة يرجع الى المنزل متعباً أكثر من المرة التي سبقتها حتى أصبح جسده هشاً كأنّه قطعة زجاج قابلة للكسر، يعاني كثيراً ويرفض التذمر أو الشكوى.

كانت مشيرة وشريف يطمئان كثيراً على صحة طارق الذي كان يرفض التحدث معهما، لم يكن يحب أن يظهر ضعفه لأحد حتى أنا، لم يكن من إنسان يشكو له ألمه سوى عاصم وعاصم فقط .. كان يرأف بحالي من ألمه أو شكواه، حتى في مرضك يا طارق كنت عزيز النفس أبّي المشاعر، حتى حدث ذات ليلة.

- ليلى إسمعيني أنا عارف إني بموت.

كنت أحاول إسكاته رافضة الحديث إلاّ أنّه طلب مني بصوت تعب أن أكفّ عن مقاطعته.

- من فضلك يا ليلى مش هاقدر أتكلم كتير، اسمعيني وماتقاطعينيش.. عمري ما حبيت حدّ غيرك أو قدك أو زي حبي ليكِ.. الفترة اللي عرفتك فيها هي كل حياتي، وقبلك ماكنتش عايش..

سكت قليلاً ليبتلع ريقه الجاف، سقيته بضع قطرات من الماء، فقبّل يدي بشفاه باردة مرتعشة واحتضنني بجسده الهزيل وطلب مني النوم بجانبه، كانت آخر مرّة انام محتضنة جسد طارق..غاب عن الحياة ولم يغب عن قلبي أو حياتي.

معاناة طارق مع المرض كسرتني، كسرت روحي، أصابتني بشرخ لا يبرأ، لا زلت أذكر آخر ما تلفظ به قبل أن يدخل في غيبوبة لم يصح منها مرة أخرى.

تولى عاصم كل الإجراءات، استخراج تصاريح السفر والدفن في مصر. عشت شهراً كاملاً على المنومات والمهدئات اللعينة والقهوة والسجائر في لحظات استيقاظي النادرة.. لم أستطع إستقبال المعزّين ورفضت الإجابة على المكالمات الهاتفية، كان عاصم يتصرّف فيها كأنّه اخ لي بمعنى الكلمة برغم انكساره وألمه، إلّا أنّه قبل سفره وبعد عودته لإسبانيا لم يتركني لحظة.

بعد شهر من الحزن والصمت والإنكسار، طلب مني عاصم أن أحضر فتح الوصية التي تركها طارق عند محاميه الخاص، وعندما حاولت الإعتذار والتملّص أصرّ وطمأنني انه سيكون معي فوافقت على مضض.

اكتشفت أن طارق كتب لي كل ما يملك بطريقة البيع والشراء، وترك لعاصم بعض اللوحات الثمينة التي طالما كان عاصم معجباً بها.

انتابتني الوجيعة وأجهشت بنوبة جديدة من البكاء المتقطع، وبدأت لأول مرة أهذي بصوت عال.

- الرجل الوحيد اللي حسيت إنه ظهري وأخويا وأبويا وابني وحبيبي راح، هاعمل إيه باللي سابه، هاعمل إيه بدونك يا طارق.

غرقت في حزني الأسود شهراً آخر، كان عاصم هو وسيلة الاتصال الوحيدة بيني وبين الحياة التعيسة، حاول كثيراً أن يخرجني من فترات حزني وصمتي ولكنّه فشل.

فجأة قررت أن أعود إلى مصر، فمن كان يربطني بإسبانيا رحل وماتت معه روحي، دفنتها في هذه البقعة من العالم، وسأعود جثة فقط بلا روح، وقد كان ما أردت.

أوكلت بيع القصر لعاصم الذي كان رافضاً عودتي لمصر، إلاّ أنّه أمام إصراري وافق مذعنا، وعدني بزيارتي قريباً بعد أن أهدأ قليلاً وأرتاح، ووعدني بالتصرف بأمور أخرى كثيرة لم أعلم عنها شيئاً سوى انه سيضطر للتعامل مع شريف بخصوصها.

أخيراً رجعت إلى بيتي بعد عام من الفراق أنا وخليلتي ذات الذيل الأبيض، وحدنا بدون شريك ثالث، وبدأت فصلاً جديداً من فصول حياتي البائسة.

***

استسلمت لحالة من الغيبوبة، أنام ساعات طويلة ثم أصحو كي أنام مرة أخرى، كانت ستائري مسدلة طيلة الوقت لا أكاد أعلم ليلي من نهاري، أهملت مقالاتي وقرّائي فترة طويلة، كان كل ما يربطني بالهاتف مجرد إتصالات عاصم للإطمئنان عليّ.

- ليلى عاملة إيه طمنيني عليكِ، كلمتك كتير كالعادة ومش بتردي، أنا بقلق عليكِ لما مش بتردي، إنتِ كويسة.

-الحمدلله يا عاصم الحمدلله.

- أنا متابع الجريدة ومش لاقي لك أية مقالات جديدة، ممكن بقى كفاية كدة حزن وتبتدي تفوقي وترجعي لحياتك تاني ولـ ليلى اللي عرفتها زمان؟

- وأجيبها منين يا عاصم، ليلى اتدفنت مع طارق، راحت خلاص ومش عايزاها تاني أنا عايشة جوه جسم ليلى بس روح ليلى ماتت خلاص.

- حرام عليكي يا ليلى، أنا بتعذب وحاسس بوحدة كبيرة، فقدت أعزّ الناس، طارق كان مش مجرد صديق وبس، كان أخويا، ولو قلتلك أبويا صدقيني متعرفيش معزتك إنتِ عندي، مقدرش أفقدكم أنتم الإتنين مع بعض، عشان خاطري وخاطر طارق ارجعي ورجعي ليلى القديمة.. طارق ما كانش هيبقى مبسوط بحالتك دي.

سكت قليلاً، أحسست بغصة يحاول ابتلاعها، وبصوت مبحوح أردف قائلا:

- ليلى أرجوكِ ارجعي.. ده آخر طلب هاطلبه منك.

أشفقت على عاصم، صديقي الذي لم يكن له ذنب سوى أنّه اعتبرني أنا وطارق كل أهله، كثيراً ما تكون الصداقة الحقّة هي الهدف الأسمى لكل العلاقات الإنسانية في الحياة.

- حاضر يا عاصم.. أوعدك هاحاول.

- وعد؟

- وعد ...

***

- أخيرا رديتِ يا ليلى.. زعلانة منك أوي، شهرين بحالهم معرفش عنك حاجة غير عن طريق عاصم لما كان بيطمني عليكِ ليه يابنتي كدة، طيب طمنيني عليكِ على الأقل، وحشتيني.

- ميرسي يا مشيرة، إنتِ عارفة حالتي كانت صعبة أوي ومكنتش قادره أكلم حد، وتقريباً مش عارفة هاطلع من الحالة دي إمتى.

- يا حبيبتي معلش، مش عارفه أقولك إيه المكتوب ممنوش مفر عايزه اشوفك، ممكن اعدي عليكِ اخدك نقعد ع النيل شوية نتكلم؟

- لا يا مشيرة مش قادرة.

- مفيش مش قادرة مش كل مرة هاشيلك من السرير.. نص ساعة هابقى تحت البيت، أرنلك تنزلي وإلا هاطلع اجيبك وإنتِ عارفاني مش هاغلب، يلا اجهزي.. باي.

اغلقت الهاتف دون ان تنتظر ردًا مني.

أعرف أن مشيرة طالما قررت أمرًا فلن تتراجع عنه أبداً، قمت أحاول البحث عمّا أرتديه، فمعظم الحقائب لم تفتح منذ رجوعي من السفر، ولازالت باقفالها مرمية في الغرفة الأخرى والتراب يعتليها.. لبست بلوفر رماديًا وبنطالا أسود ووضعت كابيشون صوفيًا أبيض

على رأسي ونزلت بعد أن سمعت صوت رنة هاتف مشيرة.

منذ ركبتُ سيارتها إلى أن وصلنا الكافيه وهي مسترسلة في الكلام بدون توقف، وأنا أسمع أهز رأسي تارة وتارة أخرى أصدر بعض الهمهمات المتعبة إلى أن فاجأتني بسؤال لم يخطر على بالي قط.

- ليلى أنا حاسه إن عاصم معجب بيكي، عمري ماشفته مهتم بحد زي ماهو مهتم بيكي .

وقع كلام مشيرة على رأسي كالطوبة الثقيلة يا إلهي، هل يعقل؟

- تصدقي يا مشيرة أنا ندمت إني أصلا رديت عليكي، مفيش فايده فيكي أبداً، ياشيخة أنا مش مصدقاكي، بطلي سفالة بقى، ها أقوم وأسيبك.

- خلاص خلاص حقك عليا يا ليلى، بصي أنا عارفه إنك مش واخدة بالك بس حبيت ألفت نظرك مش أكتر، ماتزعليش بقى، وحشتيني يا بنتي.

كالعادة رجعت لحديثها عن مشاكلها مع شريف، ومحنها مع عصام، وطلباتها المادية من الاثنين المبالغ فيها، وهكذا أنستني هذه الشيطانه بعض حزني لتدخلني في تساؤل عجيب... هل يعقل أن يكون عاصم مهتما بي بشكل مختلف عما كنت أتخيله؟

الله يحرقك يا مشيرة ماكنتش ناقصاكي على المسا.!

بعد لقائي بمشيرة أصبحت لا أرد على مكالمات عاصم او مشيرة، اختفيت تماماً من الساحة الاجتماعية برغم متعلقات الميراث

ومشاكله مع المحامين، اكتشفت ان شريف زوج مشيرة استولى على بعض الأسهم الخاصة بطارق عن طريق الخداع، وحاول الإستيلاء على الأسهم المتبقية، وكلت محاميا باهظ التكاليف كي أوقف شريف عن توغله في سرقة أملاكي، طلب مني المحامي أن أذهب للشركة وأفتح مكتب طارق وأمارس مهامه ولكني ارتعبت من الفكرة .. فإن كنت جبنت عن مواجهة المجتمع وأنا مكسورة ، فكيف أستطيع مواجهة شريف وهو يسرق أموالي... ماذا أقول للموظفين ، هل افتح حرباً، أم أنزوي حتى يأخذ القضاء حقي؟

بعد إلحاح من المحامي قررت الذهاب للشركة ومواجهة شريف.. وفي اليوم التالي ذهبت إلى الشركة بسيارة اجرة، أعصابي كانت لا تتحمل القيادة والدخول في زحمة المرور والمناوشات الصباحية التي أنا في غنى عنها الآن.

دخلت الشركة فتجمع الموظفون لتقديم العزاء وإبداء حزنهم على المرحوم طارق، كنت صلبة الملامح وتعاملت معهم برسمية وبأدب شديد، سألت عن مكتب طارق فأبلغني موظف الإستقبال بأنه مغلق، فطلبت منه فتحه وتجهيزه لي فاستغرب طلبي لكنه لم يجادل ولم يحاول مماطلتي.

بعد برهة أبلغني الموظف أن المكتب جاهز، فدخلت مكتب طارق، كان فخمًا شديد الإتساع، به حمام خاص وشبه مطبخ صغير لعمل المشروبات الساخنة، وثلاجة صغيرة للعصائر، مفروش بالكامل

من الخشب الزان الماهوجني الغامق، تزينه لوحات ذات الطابع الإسلامي الذي كان يعشقه طارق.

لم أر أية ملفات على المكتب ولا في الأدراج، كل ما كان على المكتب صورة لطارق وأجهزة هواتف لازالت تعمل.

اتصلت بموظف الإستقبال وأبلغته بأني أنتظر حضور شريف كي أقابله.

سمعت جلبة في الخارج، فعلمت أن شريف حضر الشركة وانتظرت قليلاً قبل أن يرن هاتف المكتب :

- ليلى حمدلله ع السلامة أخيرا نورتينا في الشركة، تحبي أجيلك المكتب وألا تتفضلي عندي؟

- لا أنا جايالك يا شريف.

حملتني أقدامي المرتعشة إلى مكتب شريف، كان يدخن سيجاراً كعادته ويقرأ صحيفة، عندما رآني هب واقفاً، مبدياً مودة زائفة.

- شريف أنا قررت أقوم بأعمال طارق بس محتاجة الملفات، مش لاقية اي ورق في مكتبه خالص، وأنا مقدرة انكم شلتوها خوفا عليها من الضياع أو السرقة.

بالطبع كنت أكذب كي لا أبدأ المواجهة باكرًا مع شريف، قليل من اللؤم لن يضر.

- آه طبعا تنوريني يا ليلى إحنا فعلا شلنا الأوراق كلها عشان خفنا عليها من السرقة أو إنها تضيع، حالا هاطلب من السكرتير يجيبلك

كل الأوراق إللي كانت في مكتب طارق.

- ميرسي يا شريف، عايزه أقولك إن طارق كان بيشكر فيك جدًا وبيقولي إنك أكتر من أخ، وانه شاركك لما اتأكد إنك مثال للأمانة والأخلاق.

أول مرة أكتشف إنني أجيد التمثيل وبجدارة.. برافو ليلى، الأوسكار ينتظرك، استمري.

- طبعًا طبعًا يا ليلى، طارق كان أكتر من أخ قبل ما يكون شريك بس إيه رأيك بدل ما تتعبي نفسك بالعمل ومشاكله ودوشته، إنك تبيعي نصيبك، شوفي يساوي كام وأنا مستعد أشتريه وأزيد كمان.

- الحقيقة أنا ماعرفش نصيبي يساوي كام، إنت عارف إن طارق باع لي كل أملاكه بطريقة البيع والشراء، يعني مش حق الزوجة الشرعي فقط، لأن طارق مكانش عنده وريث، معظم أهله توفاهم الله، وكل أقاربه من بعيد جداً.

- آه طبعاً عارف وإنتِ الخير والبركة الله يرحمك يا طارق.

قالها وهو يعصر السيجار المسكين بين أسنانه الصفراء بصوت كالفحيح.

- طيب إيه عرضك يا شريف.

- نقعد مع المحامين ونشوف نصيبك إيه ويساوي كام وأنا جاهز يا فندم.

- طيب خلي الموظف يحضّر كل الأوراق إللي كانت في مكتب

طارق أطّلع عليها وأقضي اليوم أراجعها، وأطلب من محاميك يتواصل مع لبيب المحامي الخاص بي، وأنا هابلغه موافقتي على التفاوض.

- تمام يا هانم، إن شاء الله هاجهز كل حاجة لحضرتك، يهمني إنك تفضلي مرتاحة... قالها قائمًا من كرسيه كي يفهمني أن المقابلة انتهت...

- أنا رايحة مكتبي بانتظار الملفات... ميرسي لذوقك.

- شرفتيني يا هانم.

بالطبع معظم أوراق طارق المهمة اختفت، وما أرسله لي شريف الحرامي كانت أوراقا بلا قيمة أو فائدة.

أصبحت أذهب للشركة صباح كل يوم، عينت سكرتيراً خاصاً ومديراً لمكتبي، وتم ابلاغ جميع الأقسام بارسال نسخ من جميع الرسائل والعقود والمعاملات التي تذهب لشريف وتتم في الشركة.

لم يتوقع شريف إصراري على التواجد والاهتمام بالشركة بهذا القدر، معذور فهو لم يعرف عنادي ولم يجربه، مع اني كنت أكره الأعمال المكتبية والروتين، إلا انني هذه المرة لم أكن أريد الفشل وضياع حقي وحق طارق في الشركة.

كنت جالسة في مكتبي عندما رن الهاتف.

- ألو مدام ليلى؟

- أيوه مين؟

- أنا صابر يا مدام، الساعي الخاص بالمرحوم طارق بيه.

- أهلاً عم صابر، سألت عنك قالولي انك مشيت.

- الحقيقة يا هانم إن شريف بيه طردني من الشركة، وكنت عايز أشوف حضرتك ضروري، بس بره الشركة عشان عايز أقولك حاجات مهمة.

- إيه رايك تجيلي البيت بعد الظهر الساعة 6 كويس؟

- حاضر يا هانم، 6 بالظبط هابقى عندك.

عم صابر كان ساعي مكتب طارق الخاص به، عينه طارق لأنه كان يعلم مقدار أمانته ووفائه له، رجل فقير لكنه مثال للنزاهة والأخلاق، عنده 7 من الأولاد والبنات، جميعهم أنهوا تعليمهم العالي بفضل عمل والدهم واجتهاده. كان طارق يهتم بعم صابر بصفة خاصة، وعرفت بالصدفة أنه تكفل بكل مصاريف أبنائه الجامعية، وترك له معاشا ثابتا يصرفه كل اول كل شهر من البنك.

في السادسة تماماً حضر عم صابر، نحيل البنية يلبس قميصا وبنطلونا كحلي اللون، يطلق لحية بسيطة لونها بلون الثلج، كان يحمل في يده المرتعشة ملفاً يحوي أوراقا كثيرة، قدمه لي قائلاً:

- الملف ده يخصك يا هانم، فيه صور من كل حاجة عملها شريف بيه من وراكي الأيام الي فاتت، وده سبب رفدي من الشركة، لأني صممت أحافظ على حقك وحق طارق بيه إللي لحم كتافي من خيره، والفترة إللي فاتت شريف بيه كان بيتصرف بدون ما يكون لوجود حضرتك أي اهمية، باع أسهم واشترى أسهم واتصرف ببعض

الممتلكات بمساعدة المحامي الخاص بتاعه، أنا جبتلك كل التفاصيل، وطبعا فيه حاجات مفهمتهاش بس صورتها احتياطاً ، ده الورق إللي عرفت أخرجه بره الشركة، وفي ورق تاني محفوظ في مكتب طارق بيه الله يرحمه.

قاطعته متسائلة:

- أنا فتشت المكتب يا عم صابر ما لقتش حاجة خالص.

- فيه خزنه سرية يا هانم أنا بس إللي عارف مكانها، هي ورا لوحة من اللوحات متعلقة الناحية اليمين، طارق بيه كان مآمني أنا بس على مكانها وطريقة فتحها الله يرحمه، والله يا هانم بعده الدنيا ملهاش طعم.

- طيب يا عم صابر مش عارفه أقولك إيه، إنت وفرت عليّ وقت طويل في الاجراءات، هاشوف الورق ده وهاشوف الخزنه إللي قلتلي عليها دي، متهيألي عرفت هي فين بالظبط، بشكرك من كل قلبي، وياريت كل الناس باخلاقك وأمانتك.

- ده أقل واجب لحضرتك، طارق بيه لو كان طلب مني عين من عيوني مكنتش هاتاخر عنه أبداً، وأنا دائماً تحت أوامر حضرتك.

ترك لي رقم هاتفه وغادر، بدأت في قراءة الملف الذي أعطاني إياه، بالطبع كان هناك تزويرًا وتلاعبًا بالتوقيعات.

ذهبت صباحاً للشركة واستدعيت المحامي لبيب وأعطيته صورة من الملف.

وفي صباح اليوم التالي وصلت مكتبي وأغلقت الباب خلفي.. تفحصت اللوحات فرأيت لوحة شبيهة بلوحة ذات طابع إسلامي من مقتنيات طارق في أسبانيا، نظرت خلفها فلم أر شيئا سوى الحائط، ولكن كان لون الحائط مختلفا عن البقية، نقرت عليه بأصابعي فسمعت صوت صدى تيقنت أن الخزنة خلف اللوحة.

ذهبت للمكتب ونظرت أسفل الدرج الثالث، مددت اصبعي وضغطت في مكان معين ففتح الحائط خلف اللوحة، نفس المكان ونفس التصميم الذي نفّذه طارق في خزنة مكتبه بأسبانيا، وجدت أوراقا كثيرة بداخل الخزنة وقصاصات لصور شيكات، شعرت بالعرفان لعم صابر، فهو على قدر بساطته إلا أنه خدمني كثيراً.

لم اعد أذهب للشركة كثيراً حتى ظن شريف أني فقدت الاهتمام بإدارتها، وتخيل له أني سأستسلم وأبيعه نصيبي بثمن بخس.. ولكنه فوجىء بالمحامي يعرض عليه صور الأوراق التي زورها والشيكات التي زيفها فأسقط في يده وطلب مهلة كي يعوضني عنها لخوفه من السجن والفضيحة.. بعدها توالت إتصالات مشيرة التي لم أرد عليها أبداً، حتى فوجئت بها على باب منزلي فاضطررت لاستقبالها.

- بقى يا ليلى بكلمك كل ده ومش بتردي عليا، بجد زعلانه منك، مش كل مره كدة تقاطعيني وأنا إللي أجري وراكِ.

-مشيرة.. أنا مش في مود حلو عشان أفتح حوارات، إنتِ طبعا عارفه إللي عمله شريف.

- آه عرفت، وطبعا عملنا مشكلة كبيرة بسبب الموضوع ده، وطلبت منه يرجع كل حاجة زي ماكانت.. هو مش ناقصه فلوس وعلى قلبه أد كده، لكن طول عمره مايهموش إلا الفلوس وبس.. على فكرة يا ليلى إحنا واصلين للطلاق، صحيح من الأول مش بحبه بس موضوعك خلاني أعيد التفكير في حياتي مع شريف، ليه عايشه معاه وأنا مش بحبه؟.. عشان الأولاد، ماهم هايتربوا بيا من غيري، وناويه أسيبهم لشريف وأشوف نفسي بقى، عشان كده كنت بدور عليكي الأيام الي فاتت، مش عشان زي مافهمتي أتوسط بينك وبين شريف.

- بصي يا مشيرة ماتخلطيش الامور ببعضها، إنتِ بنت خالي آه، بس عارفه إني مش بيعجبني أسلوب حياتك من زمان، طبعا إنتِ حرة فيها طالما الموضوع مايخصنيش، بس مفهمتش إيه إللي خلاكي دلوقتي عايزه تتطلقي بعد السنين دي كلها؟

- أنا تعبت وزهقت وكمان...

صمتت قليلاً تبتلع ريقها الجاف، كانت عيناها تبحثان عن شيء مجهول، بريقهما أوحى لي بعصام، لا أدرى لماذا قفز هذا الخاطر لذهني.

-عصام مش كده؟

- آه عصام.. مبقتش قادرة أكون مع رجلين، وحتى لو عصام مش هايتجوزني مش عايزة أبقى مع حد غيره، أنا بحب عصام حتى من قبل ما تبقوا مع بعض.. هو مكانش شايفني وقتها كان شايفك إنتِ،

زي هادي، فاكراه؟، برضو كان مش شايفني، بس مش ده موضوعنا دلوقتي، أنا عايزة اتطلق عشان مش عايزه شريف يشارك عصام فيا.

يا لوقاحتها، لا فائدة من الجدل مع مشيرة أبداً.. عرفت الآن سبب سعادتها بزواجي من طارق وابتعادي عن الساحة، هي تحبني لكن بعيدًا عن نزواتها، وعندما يتعلق الأمر بمزاجها ورجالها يظهر كرهها لي وغيرتها مني.. هي الآن تريد التفرغ لعصام حتى لا يبحث عن أخرى بلا مشاغل تلهيها عنه.

- اعملي إللي إنتِ عايزاه يا مشيرة، حياتك وإنتِ حرة فيها، بس من فضلك بلاش تدخليني في حواراتك، أنا مش فايقالك.

- خلاص يا ليلى، جيت بس أقولك إني مش بتوسط لشريف، واعملي ما بدالك.. إنتِ كمان حرة.

منذ ذلك اليوم ابتعدت عني مشيرة تماماً.. أخذت جانبا بعيدا في حياتها ولم أسمع أية اخبار منها مما أراحني في التعامل مع شريف أكثر، فلم يعد له عندي خاطر يعوقني عن أخذ حقي منه بالطريقة التي تناسبني.

حاول شريف مساومتي على نصيبي في الشركة لكنه لم يستطع أن يطيل في الأمر، وبعد عدة محاولات فاشلة بعت له نصيبي كاملا بالمبلغ المناسب، واختفيت تماماً عن الحياة الاجتماعية، رحلت إلى نفسي مرة أخرى إلى وحدتي التي أضحت أقصى أمنياتي في الحياة.

رجعت إلى صحياني المبكر وإلى مقالاتي المعتادة وفنجان قهوتي

الصباحي، ولم يعد هناك من أمور تشد انتباهي كثيراً، كل ما كان يهمني ألا يتغير روتيني اليومي.

كانت تردني بعض المكالمات من عاصم بين الحين والآخر يطمئن على حالي ويشجعني على الكتابة مرة أخرى ويبلغني فيها عمّا تم بخصوص بيع المنزل في اسبانيا.

***

- ليلى إزيّك، أنا راجع القاهرة بكرة.

- اجازتك أد إيه المرة دي يا عاصم؟

- لا دي مش اجازة، رجعت القاهرة المرّة دي نهائي، بقالي شهر مستني أخلص لك اجراءات نقل ملكية البيت للمالك الجديد وحولت لك المبلغ كاملاً على حسابك البنكي، والحمدلله خلصت كل حاجة، أول ما أوصل القاهرة هأكلمك، وحشتيني!!

- ترجع بالسلامة يا عاصم، القاهرة هاتنور يا صديقي العزيز.

- الله يسلمك، استني مني تليفون بكرة.

في صباح اليوم التالي اتصل عاصم، كان يتحدث من القاهرة.

- حمدلله على السلامة يا عاصم، وصلت امتى؟

- أنا لسه في العربية يدوبك خلصت إجراءات السفر وعايز اشوفك !

- الوقت لسه بدري، روح وارتاح شويه وبعد الظهر ممكن نتقابل.

- لا أنا جاي أشوفك، تحبي نتقابل في الكافية الي جنب بيتك؟

- مممم، طيب نص ساعة وهابقى هناك.

عاصم كان مختلفاً هذه المرة.. صوته وأسلوبه لم يكن مطمئنا، كان صوته قلقاً لهفاً، يحاول جاهداً اخفاء عواطفه التي أحسست بها من خلال الهاتف.

صوت مشيرة لا يزال يرن في أذني، «واضح إنه مهتم بيكي أكتر من صديقة»، تمنيت ألا يكون كلامها صحيحا، فأنا أحب عاصم كأخ وصديق عزيز، ولا أرغب في فقدان صداقته أو خسارته كرجل في حياتي.

وصلت المكان مبكرة، لم يكن هناك روّاد بالمقهى في هذا الوقت المبكر من الصباح، طلبت فنجان قهوة وأشعلت سيجارتي الثالثة لهذا الصباح، لم يمض خمس دقائق حتى حضر عاصم، كان متعبا وملامح الاجهاد بادية عليه.

قبّلني على وجنتي واحتضنني كعادته عندما يسلم علي.

- وحشتيني يا ليلى، وحشتيني بجد.

- حمدلله على السلامة يا عاصم إنت كمان وحشتني، طمني عليك رحلتك كانت لطيفة؟

- الحمدلله كله تمام، طمنيني عليكِ إنتِ، شايفك مرتاحه الحمدلله.

- أنا كويسة، رجعت لحياتي قبل طارق الله يرحمه، نفس الروتين ونفس الحياة، مع فرق إني مش قادرة أنسى طارق أبداً.. هو معايا في

كل نفس وخطوة، حتى احلامي كلها معاه، مش قادرة أنسى آخر مرة كنا فيها مع بعض، مش عارفه أنساه أبداً يا عاصم.

اختنق صوتي ولم أستطع أن أخفي دمعتين سخيفتين سقطتا على وجنتي.

- ليلى، من فضلك كفاية، بلاش تفتكري الماضي، طارق كان أكتر من أخ لي وأنا أكتر واحد حاسس بيكي، من فضلك كفاية.

أحسست بألمه، لا أدرى هل بسبب فراقه لطارق فقط.، أم لعدم نسياني له وذكري له في كل مناسبة مع عاصم.

- خلاص يا عاصم، أنا بس لما بشوفك بفتكر أكتر طارق، بفتكر أيامنا، وقد إيه كنا سعداء بالحياة القصيرة إللي عشناها سوا، كان حلم وخلص.

- ليلى أنا رجعت القاهرة وهاقعد سنتين تقريبا قبل ما اسافر تاني، عايزك تعتبري ان طارق لسه موجود، أي حاجة تحتاجيها من فضلك تكلميني وتطلبيها مني، أنا تحت امرك في اي حاجة، بس بلاش الحزن ده.. إنتِ عارفه معزتك عندي.

- ميرسي يا عاصم عارفة، وإنت بالنسبة لي أكتر صديق ممكن أعتمد عليه وألجأ له، دلوقتي مليش غيرك.

بعد ذلك اليوم، أصبح عاصم يهاتفني يوميا، نتحادث في أمور الحياة، لكنه ظل محافظاً على مسافة الصداقة ولم يحاول أن يتخطاها، أغلب الظّن إحساسه بأنني لن أستطيع نسيان طارق على

الأقل حاليا، فآثر الاحتفاظ بي كصديقة، وإن كنت أحسست في أحيان كثيرة أنه يريد التقرب أكثر، لكن أسلوبي المتحفظ جعله يحافظ على العلاقة كما هي بدون تغيير.

***

لا تأتي الدنيا مع قادم ولا تذهب مع مغادر ولا تعطي مع خاسر ولا تأخذ من زاهد، هكذا قررت الزهد في الحياة نفسها حتى لا تأخذ مني أكثر، غرقت في وحدتي لوقت لم أستطع أن أتبينه... شهر أو شهران أو ستة أشهر طويلة مملة.

إلى أن حدث ما انتشلني من وحدتي كرهًا، مرضت لوزة قطتي العزيزة مرضاً شديدًا، صامت عن الطعام والشراب وأصابها الوهن فقررت الذهاب بها إلى اقرب مشفى بيطري.

جلست أنتظر دوري في الكشف، كان المشفى البيطري حديثاً، مبني على أحدث طراز، مؤثث أثاثاً رائعاً، معداته تضاهي المعايير الأوروبية في حداثتها ونظافتها.

ارتحت لقراري باختيار هذا المشفى، إلى أن حان دوري في الدخول للطبيب، العيادة هادئة ونظيفة، قابلني الدكتور فؤاد، رجل في الأربعين من عمره، وسامته لا تخطؤها عين، أسمر البشرة، نحيل القوام، ذو صوت رخيم.

-أهلاً مدام ليلى اتفضلي حضرتك، مالها القطة.

- أهلاً دكتور فؤاد، لوزة بقالها كام يوم مش راضية تاكل بتشرب

ميه بس، ولما قلقت عليها جيت لحضرتك تكشف عليها وحضرتك إللي تقولي مالها؟

أثاره ردي المستفز فعبس قليلاً وطلب من الممرض وضع القطة على سرير الكشف كي يعاينها.

- واضح إن عندها آثار جفاف من قلة الغذاء، مممم قطتك محتاجة لعملية سريعة، عندها ورم في الكلية الشمال ولازم نستأصلها حالاً.

وقع الخبر علي كالصاعقة، لوزة رفيقتي وجميع أهلي، يا إلهي هل سأفقدها هي أيضاً..

- أنا.. مش..

سبقت دموعي كلامي وأصبت بغباء عجيب.. لا أعلم ماذا أقول أو أرد على الطبيب..

- ماتخافيش يا مدام ليلى، العملية مش صعبة بس محتاجه متابعة، لازم أجهزها للعملية حالا مش هانقدر نستنى أكتر من كدة، لو حضرتك موافقة يبقى نبتدي..

- آه موافقة.

دخلت لوزتي غرفة العمليات، ودخلت أنا في هلع وخوف لفقدانها، ظللت أبكي طيلة الوقت ولم تقف دموعي إلا عندما طمأنني دكتور فؤاد أن العملية تمت بنجاح وأنها ستظل تحت الرعاية في المشفى لمدة يومين قبل أن تخرج.

ظللت أتردد يومين متتالين على المشفى صباحًا ومساءً، والدكتور فؤاد هو من يستقبلني دائماً ويجيب على أسئلتي المزعجة والكثيرة بخصوص حالة لوزة.. كان هادئاً، لطيفاً وواثقاً من نفسه.

أعجبني أسلوبه وارتحت لشخصه بشكل غريب، متساءلة بين وبين نفسي كيف لحالتي النفسية المتردية بسبب قطتي أن تهتم برجل، هل هذا وقته .. لا أعلم ما الذي حدث لي ولكن استجبت لمشاعري بدون تردد ولا مقاومة.

رجعت بقطتي العزيزة إلى المنزل.. بعدها أصبحت زيارات دكتور فؤاد للإطمئنان على لوزة متكررة، يحادثني صباحاً يطمئن على القطة ولا يغلق الهاتف قبل ساعة او ساعتين من الحديث الممتع، نتكلم بشتى المجالات عن قرائي، مرضاه، عن الحب والحياة بشكل عام.

أثار انتباهي بثقافته العالية رغم مشاغله الكثيرة كان قارئا نهما لكل أنواع الثقافات والفنون، أيضا اكتشفت أنه كان يتابع مقالاتي وبريد الجمعة لحل مشاكل القراء.. أسرني ثناؤه على رجاحة عقلي في التعامل مع الأزمات التي تطرح عليّ من القراء.

أخبرني أنه متزوج ويحب زوجته وبناته الثلاث، وأنه يخلص لزوجته تماماً وإن كان لا يراهن إلا قليلاً بسبب ازدحام جدوله اليومي، امتدح زوجته لأنها تحمل عنه همّ تربية البنات وتسيير أمور المنزل لوحدها بدون تدخل منه. وتبينت من حديثه أنه يحس ببعده عن مسؤولياته، وأنه تحول لمجرد واجهة إجتماعية تكمّل

الصورة فقط لا غير، فهي واثقة من نفسها ولا تعتمد عليه إلا في الماديات، وفيما دون ذلك لا وجود له بشكل أساسي في حياتها وحياة الأولاد.

كان كثيراً ما يعرج علي نتغدى سوياً أو يدعوني للعشاء بالخارج، نسهر، نتكلم، نرقص ونضحك كثيراً كأننا صديقتان أو صديقان بلا تحفظ.

كنا نسهر سويا في مكان هادىء كعادتنا عندما أحسست به يقترب مني ويهمس في أذني.

- ليلى عايز أقولك حاجة، أرجوكِ ما تفهمنيش غلط.

أحسست بالقلق من جملته المفاجئة بحدوث أمر جلل، وإن كنت أنتظره من فترة طويلة، ولكن لا أدرى لم وجلت من مواجهة الموقف.

- اتفضل يا فؤاد، إنت عارف إني بفهمك على طول.

- ليلى من أول مره شفتك فيها وبرغم أسلوبك الجاف اتشدّيت لك أوي، حسيت إني قدام ست بمعنى الكلمة، جميلة وحساسة، ممكن يبقى كتير عليّ أني اشوفها في أحلامي مش في الحقيقة وإنك حلم تجسد قدامي فجأة، عشان كده اهتميت أوي بحالة قطتك، حاولت أتقرب منك بالشكل إللي يرضيكِ لخوفي إنك ترفضي وجودي بشكل مختلف في حياتك، ليلى أنا بجد معجب بيكِ واتعودت عليكِ ومش عايز اخسرك أبداً حتى لو كانت مشاعرك مش زي مشاعري، أرجوكي ماتزعليش مني، مقدرتش أخبي أكتر من كدة إحساسي.

لم تكن صدمة بمعنى الكلمة، كثيراً ما تمنيت أن يصارحني بمشاعره وهو يحتضني راقصا أو يقبل يدي متعمداً عند إيصالي إلى منزلي، وكثيراً ما شممت رائحة هورموناته الرجولية تصرخ في أنوثتي الصامتة، ثائرة تطلب اللجوء العاطفي، وكثيراً ما وأدت اندفاعي القاتل كي لا يظهر على وجهي أية آثار للمعركة الدائرة في هورموناتي التي أصبحت تحت تأثيره التام.

مقاومتي استنفذت تماماً، وقلوعي انهارت، وجيشي العظيم تراجع متقهقرًا أمام هجومه الكثيف المتمكن، وكان الانهيار والاستسلام حتميًا وقويًا ورائعًا..!

غرقت مع فؤاد في متعة خالصة، وأدمنت رائحة جسده الأسمر العفّي، كان يغرقني بعاطفته ورجولته، وكنت انهمر عليه بأنوثتي وأفيض عليه منها بلا انقطاع، صوته فقط كان يدخلني في حالة من الشبق لا تنتهي، حتى أصبحت علاقتنا كالإدمان..

للحب طقوس وقوانين لا يستطيعها إلا من كان عاشقا حتى الثمالة.. هي أمور لا تُطلب ولا تشتري، طقوس تعتري الوجدان فتنهار كل الدفوع والأنظمة والحواس تستجدي منها القرب والانس والصحبة والصفح.. للحب طقوس غانية، معربدة، هائمة، مجنونة، أنانية ومتسلطة كآلهة القدماء من الجاهلين، فإن لم تكن أهلا لها وعابدا ناسكا في معبدها، فـكل ماتفعله ليس حبا، إنه مجرد روتين تعيشه حتى تلتقي بالحب.

يوماً بعد يوم ازدادت زيارات فؤاد لي في المنزل، وأصبحت لقاءاتنا الصباحية أحلى ما أعيشه.. أنساني نفسي.. وطارق!

يا الله.. كيف يتحول الإنسان بين ليلة وضحاها من النقيض للنقيض، فبالأمس كنت أنوح على فقدان أعّز الناس، بل كنت أتمنى الموت كي ألقاه وأحتضنه، والآن أتمنى الحياة فقط كي أعيش اللحظة مع فؤاد الذي أرسله لي القدر لينتشلني من موتي البطيء.

في لحظاتنا الحميمة، كانت تدور بيننا أحاديث شتّى معظمها عن المتعة الجسدية وعلاقتها بالحب الحقيقي، لم أستطع اقناعه برأيي أن عاطفة الجسد أحيانا أقوى من عاطفة القلب، ولم يستطع إقناعي بأن العاطفة هي السبب في المتعة الخالصة.

- ليلى، تعرفي مكنتش أتمنى أكتر من إللي أنا فيه ده، مش بشبع أو بزهق منك أبداً، كانك عاملة لي عمل، لما بنزل واسيبك ببقى عايز أرجع لك تاني، لولا التزاماتي في شغلي مكنتش سبتك أبداً.

- وأنا يا فؤاد بستنى أوقاتي معاك، بعدها بحس إن حياتي واقفة لحد ما تيجي وتكمل تاني إللي كنا فيه، وفي غيابك بحس إن حاجة كبيرة ناقصاني.

- مش عاجبني الحال كده يا ليلى، عمري ما خنت مراتي، علاقتي بيكِ مختلفة عن اي علاقة ممكن تبقى بين راجل وست، لكني مش بعتبر علاقتي بيكي خيانة لها، إنتِ بس إللي كسرتي القاعدة دي عشان انتِ مختلفة وماقدرتش أقاومك، وماقصدتش أنجرف معاكي

ولا أعيش اللحظة، أنا فعلا محتاجلك وبحبك وعايزك مراتي.

وقع كلامه على قلبي وقعا عنيفا قويا، ها هي عقدة الزواج تعترض طريقي مرة أخرى، وان كنت لم أعد أرغب في الحياة العقيمة.. أريد زوجاً أستقر معه، سندا وظهرا، يأويني إلى صدره كل ليلة، اسكنه ويسكنني.

- مش عارفه أقولك إيه يا فؤاد، أنا طبعاً أتمنى، بس إنت مش هاتبقى معايا برضو لوحدي.

- مراتي وبناتي؟

- مش عايزة أظلم حد يا فؤاد، مش عايزة آخد حاجة من حد، ده حقهم وأنا جايه آخده، صعب أوي إللي بتطلبه مني، عمري ما اتمنيت أتحط في الموقف ده أبداً.

- مراتي وبناتي زي ماهم.. أنا عشان كنت بحب مراتي اتحملت كتير جفوتها وصدها عني وتكبرها.. دائماً بتبعدني عنها بأسلوبها، ولقيت نفسي معاكي وهي مش هايختلف عليها الأمر كتير، صدقيني إنتِ مش بتاخدي حاجة من حد، وبعدين أنا مش حاجة، أنا فؤاد حبيبك وعمري ما هاظلمك أبداً.

- ومش هاتظلمها هي كمان؟

- ليه بتقولي كدة، إنتِ يهمك أنا وإنتِ وبس، وهي مش موجودة خالص، اعتبريني مش متجوز وحياتنا هاتبقى أنا وإنتِ وبس، من فضلك ماتدخليش فيها اي طرف تالت، هاتبقى مختلفة وأنا حبيت حياتي معاكِ بدون زيادة أو نقصان.

أياماً طويلة قضيتها بعيدة عن فؤاد حتى لا يكون قراري عاطفياً بسبب وجوده، كيف أتزوج رجلاً متزوجاً وعنده أطفال، كيف أجور على حق امرأة أخرى، لم أرغب في هذا الأمر طيلة حياتي، فأنا أتعاطف مع كل امرأة تريد ألا تشاركها امرأة أخرى في زوجها برغم رأي الدين في الأمر.. حبي لفؤاد لم يكن كحبي لطارق أبداً، طارق كان التعقل والحكمة، أما فؤاد فكانت عاطفتي نحوه مشوبة بالتهور والانجذاب الجسدي الشديد.. لا أعرف كيف اغّض العقل عن القرار، ولا كيف أخذ قراراً متعقلاً في هذا الأمر.

قررت أخذ رأي عاصم وإن كنت قد لمحت له سابقاً عن وجود فؤاد في حياتي بشكل ما، لكنه لم يصر على الدخول في التفاصيل لإحساسه بعدم رغبتي بذلك، برغم علمي أنه يكّن لي عاطفة ما، إلا أني كنت أثق في رإيه المحايد الذي لن يتوانى عن قوله لي، حتى وان كان ضد عاطفته.

كان عاصم يهاتفني صباح كل يوم للاطمئنان على شئوني، حتى عندما علم بوجود فؤاد في حياتي لم يغير عادته اليومية، ظل عاصم الذي عرفته منذ كان صديق زوجي الأقرب لقلبه، شخصية تستحق الإحترام لانه أبداً لا يقدم نفسه على صديقه بل يحترم ما تعنيه كلمة الصداقة بين البشر وحرياتهم في الاختيارات حتى وان كانت غير مقنعة بالنسبة له!

- صباح الخير ليلى، عامله إيه النهارده؟.. امبارح جيتِ على بالي

كتير، حسيت انك متضايقة أو فيه حاجة شاغلة بالك اوي..ياترى إحساسي صحيح!

- صباح النور يا عاصم، إحتمال يكون صحيح نسبياً!
- طيب مالك طمنيني؟
- عايزة أقعد معاك نشرب فنجان قهوة، وآخد رأيك بموضوع كدة.
- طيب يناسبك امتى، تحت أمرك.
- ممكن لو فاضي النهاردة نروح نتغدى سوا في أي مكان.
- تمام، الساعة 2 هاتلاقيني تحت بيتك، هأكلمك.

في تمام الساعة الثانية ظهرًا، كان عاصم يفتح باب العربية كي أجلس بجانبه، ولأول مرة أراه بشكل مختلف عما عرفته، كان يلبس تي شيرت بلون زرقة السماء، وبنطالا أبيض بلون قلبه، ونظارة زرقاء تعكس اشعة الشمس على وجهه، لأول مرة اراه وسيماً بحق!

اخترنا مطعما كلاسيكيًا في الزمالك، ديكوراته هادئة تعكس روح الأصالة، أخبرني لاحقاً انه كان المكان المفضل له ولطارق!

آوينا إلى ركن هادىء.. صوت فيروز الحالم يداعب آذاننا برفق ووداعة، لا أنكر أن عاصم صاحب ذوق عالٍ في الإختيارات المناسبة لكل حدث، ومعه أترك نفسي كلية، لا أفكر بأي أمر يشغل بالي، بل أرمي له بكل المشاكل ليعيدها لي بحلول منطقية وسهلة التنفيذ، اعتبرته مفتاحي السحري للحياة!

- ها يا ستي، أدينا قاعدين في مكان هادي وفيروز مآنسأنا، مالك بقى!

نظرته لي كان يكسوها بعض الفضول حاول ان يخفيه بطريقته التي بتّ أحفظها، أن يضفي بعض اللامبالاة على وجهه لكنه فشل في إتقان المهمة هذه المرة!

- انت عارف أنا مش بخبي عنك حاجة وبعتبرك أعّز صديق لي في الدنيا، وعلاقتي بيك من أيام طارق ماتغيرتش، والأكيد إنك السبب الأساسي في استمرار العلاقه الجميلة دي يا عاصم.

- مقاطعا..ادخلي في الموضوع على طول يا ليلى، ماتعودتش منك على مقدمات وحواشي.

- على طول كدة كابسني! طيب، فاكر فؤاد إللي كنت كلمتك عنه مرة؟

تغيرت ملامح وجهه وتقلصت عضلات فكه واضيقت عيناه، ولكنه تمالك نفسه وأجاب .

- اه فاكره طبعا.. ماله بقى؟

- عايزنا نتجوز..

هنا.. فقد رباطة جأشه وصاح قائلا...

- وإنتِ طبعا وافقتِ!

- مالك يا عاصم، اهدى شويه مش فاهمة إنت اتعصبت ليه؟

حاول أن يخفض نبرة صوته ويرجع لقناع اللامبالاة الذي يجيده تماماً، وبصوت منخفض يحمل في نبراته الكثير من الانفعال المكتوم قال:

- إنتِ عارفه إني بخاف عليكِ اوي ومش عارف فؤاد ده إللي طلع لنا منين عجبك في إيه... ثم سكت قليلاً عندما لاحظ ان ملامح وجهي حملت استياءاً من جملته الاخيرة وواصل

- طبعا الحب أعمى وأنا عاذرك، بس برضو لازم نختار صح عند الإرتباط، القلب يهدا ويترك للعقل يقرر.

- كل مشكلتي إنه متجوز، ومش عايزه أدخل على بيت ممكن أكون السبب في إني اهدمه، فؤاد راجل محترم وبيحبني بجد، وأنا برضو متعلقه بيه بشكل كبير، مش عارفه إن كان حب ولا بس تعلق، إنت عارف إن عقلي بيغلبني دايماً رغم ان عواطفي قوية، بس قلت آخد رأيك لأنك عارف ثقتي فيك، وإنت اكتر إنسان استأمنه على أي أمر يخصني.. فأرجوك ماتعاتبنيش، خليك في صفي وانصحني وهوّن علي قراري وساعدني إني آخده، بغض النظر عن أيّ عوامل تانية.

كلامي جعل عاصم يهدأ وتنفرج أساريره لأنه لاحظ أني ضمنياً أرفض الزواج من فؤاد، يا الله كم يحبني وكم يحاول إخفاء عواطفه نحوي، وكم تفضحه عيونه!

- طيب يا ليلى إحنا نحط سلبيات الزواج من فؤاد وإيجابياته بعدها نقرر، إنتِ هاتقدري على إيه ومش هاتقدري على إيه، وساعتها إنتِ بنفسك هاتوصلي للإجابة، أنا مجرد عامل مساعد بس إنتِ الي هاتاخدي القرار.

ظللنا نتحادث قرابة الساعة، إلى أن أوقفتنا مكالمة من فؤاد،

وعندما علم أني بصحبة عاصم تغيرت نبرة صوته وصمت، طلبت منه أن يعطيني ساعة أخرى وسأرد مكالمته عندما أنهي غدائي مع عاصم.

لم أصل لنتيجة مرضية من محادثتي لعاصم أكبر من النتيجة التي وصلت لها وأنا بمفردي، عاصم يحفظني كبطن كفه ويحفظ مشاعري وأحاسيسي ويعلم ما يسعدني وما أرفضه وما أستطيعه وما لا أستطيعه.

أكاد أوقن أنه أكثر إنسان حظفني بل أكثر إنسان أحبني بصدق، وهو الرجل المعتّد بنفسه، العاشق الصامت الذي يكن الحب لإمرأة يعشقها ويشتهيها ولا يستطيع الاقتراب منها، عشق بلا أمل، أحببت صداقته ورجولته..كنا جسدان نائيان كقضبان حديد قطار جبّار، ندّان لا يلتقيان أبداً ولا يفترقان!

بعد انتهاء الغداء مع عاصم رجعت منزلي والأفكار تعصف بي، ازدادت حيرتي ولأول مرّة لا أصل لقرار مع عاصم في أمر مهم ومصيري، آثر أن يترك لي حرية القرار، لكنه وضع عراقيل ومطبات قصد بها تركيز الضوء على سلبياتها بشكل مبالغ به، وله بعض الحق فيما قاله لأن رأيه مطابق لرأيي، ولكن عاطفته سلبية عكس عاطفتي الإيجابية، فهو يكره فؤاد وأنا يعجبني فؤاد!

قررت أخذ هدنة من علاقتي بفؤاد لأقرر موافقتي أو رفضي للزواج بشكل نهائي، إتصلت به لإبلاغه بسفري إلى الجونة لعدة أيام بمفردي كي لا أتأثر سلباً أو إيجاباً به.. استقبل قراري ببرود وعدم

إهتمام يخفي خلفه غضباً وخيبة أمل.. هذا ما أحسسته وما وصلني من رد فعل فؤاد..!

أوصلني عاصم للمطار، ظلّ يتحدث طوال الطريق عن سعادته بهذا الشرف العظيم، أكثر ما يعيب عاصم في نظري داء المجاملات أو ما أعتبره أنا مجاملات ويراها هو جانب كبير من الإهتمام والحب، طبيعة عمله كدبلوماسي تفرض عليه مثل هذه التفاصيل.. لماذا اشغل رأسي بهذه الأمور، فأنا أريد الابتعاد عن كل ما يشغل بالي حالياً فؤاد وعاصم، الماضي والحاضر.. قلبي وأحاسيسي.

وصلت الفندق قرابة الظهر..استلمت بطاقات الإستخدام وذهبت لوضع حقائبي في الغرفة التي تطل على المحيط الأزرق الهادىء، هي كل ما احتاجه حالياً الحق يقال ان اختيارات عاصم تدهشني بجمالها دائماً.

غيرت ملابسي ولبست فستاناً أزرق قطنياً وقبعة من القش الخفيف وغادرت إلى صالة الطعام، حيث البوفيه العامر بكل ما لذّ وطاب من اللحوم والمعجنات والحلويات.

وقفت بإنتظار دوري ووراي امرأة في العقد السادس، واضح من ملامحها أنها غير عربية، تحادثنا قليلاً وسألتني عن مكونات بعض الأكلات الشرقية التي شدّت حواس تذوقها، فجأة سمعت صوتاً مألوفاً ينطلق من خلف السيدة.

- مش ممكن .. ليلى !

نظرت إلى مصدر الصوت فأحسست أن قلبي يقفز من مكانه عندما رأيت أعجب مصادفة أو هذا ما دار في رأسي لحظتها... فكيف لهذه الصدفة أن تختارنا أنا وهو في هذا المكان البعيد عن كل الأماكن التي جمعتنا سابقاً لتكون أرضاً محيادة للقائي بإنسان انقطعت عني أخباره خمسة عشر عاماً كاملة.

لم يكن سوى أحمد! الرجل الأول في حياتي، كان يبلس تيشرت عاري الذراعين بلون البحر وسروالا قطنيا قصيرا يبين تناسق عضلات فخذيه وصلابتهما، لم تفعل به السنين إلا ان زادته وسامة، سمار بشرته المحبب لقلبي وبعض العضلات التي نمت في ساعديه وكتفيه مع ازدياد الشعر في صدره وتدرج لون بعضه للون الابيض، يا الهي كم أنت وسيم يا أحمد، غالباً ستظل وسيماً في نظري إلى آخر العمر.

- لا مش معقول..إزيّك يا أحمد!

- إزيّك إنتِ يا ليلى مش مصدق وسعيد اني شفتك ومحظوظ كمان.

يا الله.. هل هذا وقته.، أحمد يفاجئني على حين غفلة من الزمان وفي آخر مكان اتوقع رؤيته به يا للحظ.

- طمنّي عليك وعلى نهى، أخباركم إيه؟

تقلصت تعبيرات وجهه من الابتسامة المنفرجة إلى عبسة كنتت أحفظها جيداً.. كثيراً ما كان يعتمد هذا الأسلوب كي يقنعني بكلامه في حالة ضعف حجته.

- ناخد الأكل ونروح نقعد على طاولة وأحكيلك يا ليلى.

وافقته وإن كانت المفاجأة جعلت معدتي تتقلص وشهيتي تغادر، ولكني لم أظهر ما يعتمل بنفسي، فأحمد غريب عني منذ زمن بعيد، ورؤيته يجب الا تترك كل هذا الأثر بداخلي، لم يعد للعواطف بيننا مكان، وإن كانت الذكريات لاتزال تسكنني، أحمد عندما غادر ترك أثره وطعناته التي لم تفارقني يوما، كالقرين الذي يعشق صاحبه ويبغضه في آن واحد، وكلما صفى لي الحال وابتسمت الدنيا لي قفز قريني ودفع بكل أسلحته في وجهي وإن كانت أسلحته الفتاكة هي أجمل أيام حياتي سابقاً والتي مع الوقت أصبحت قاتلتي.

هكذا كانت ذكريات أحمد المحفورة في حنايا قلبي لم تغادرني أبداً ولم استطب إقامتها يوما، لم تقتلني بشكل كامل ولم استطع القضاء عليها.

اخترنا طاولة منفردة على الشرفة الخارجية، كان منظر البحر يوحي بالرومانسية والشاعرية والهدوء المثير.

- مش بتاكلي ليه يا ليلى، الأكل مش عاجبك؟ اطلبك وجبه ألا كارت؟

- مش جعانة ..أكلت حاجة بسيطة الصبح وحاسة بعدم الرغبة في الطعام.

- أكيد عشان الصدفة الجميلة إللي حصلت دلوقتي دي، أنا طاير من السعادة يا ليلى ومش مصدق نفسي.

- تمام يا أحمد وأنا كمان سعيدة، وان كنت أتمنى لو الوقت غير الوقت.

بس عموما أنا مؤمنة بالأقدار والتصاريف، أكيد ربنا ليه حكمة في كدة! ممكن تكمل أكلك ونتكلم وقت تاني لو حبيت.

- لا مفيش بعدين، نتتكلم دلوقتي، أنا ماصدّقت!

بدأ طعامه قبل حديثه، صوت السكين وهو يقطع قطعة اللحم أثار امتعاضي.. تذكرت اليوم الذي قرأت خبر زواجه من نهى، كان قلبي يتقطع وهو من قطع اجزاءه بالسكين مثلما يفعل الآن بقطعة اللحم التي يتلذذ بإلتهامها وهي تصرخ من الألم كقلبي حينها، هذا التصور كان كاف لأنفر من أحمد ومن اللقاء الغير مناسب في هذا المكان الساحر الذي يقصده الأحبّة ليمارسوا فيه كل أنواع الحب والعشق والإسترخاء، وليس الذكريات المريرة القاسية المؤلمة..

استكمل حديثه بعد ان إبتلع آخر قطعة لحم...

- أنا ونهى سبنا بعض من زمان أوي، كانت زيجة مترتبة خالية من العواطف، تجربة محكوم عليها بالفشل الذريع، اضطريت أتجوزها بعد شوية ظروف حصلت لبابا في الشركة، وإنتِ عارفه ان بابا واونكل عزمي والد نهى كانوا شركاء في الشغل وحصلت بينهم مشاكل مش عايز اخوض فيها دلوقتي بس كان لازم أتمم الجوازة عشان بابا ما يتعبش اكتر!

- تمام يا أحمد أنا مش هاعاتبك ومش هاتكلم في الماضي، كل

واحد فينا عمل إللي عايزه بغض النظر عن التاني كان عايز إيه، مش موضوعنا...

قاطعني بعصبية شديدة:

- لا استنى، لازم تسمعيني أنا كتير فكرت أجيلك أو أكلمك عشان أقولك أسبابي، بس خفت إني أجرحك أكتر أو تجرحيني، خفت اخسر آخر أمل، وعشان كده فضلت بتابعك من بعيد، خايف منك وعليكِ.

- بتقول إيه يا أحمد، كنت مثلاً مستني تقابلني بالصدفة عشان تقولي الكلام ده.. أمال لو كنت مقرر تقابلني كنت قلت إيه، مش فاهماك، عموما هاطلع أوضتي أرتاح لأني لسه واصلة، ومش حابة أبتدي رحلتي بعتاب أو نقاشات مش وقتها..

هربت منه أو من نفسي لا أعلم، كان الفرار هو الحل، فلم يكن لقائي بأحمد سوى صدمة لي في هذا التوقيت بالذات، فعندما قررت الفرار من فؤاد آخر حب في حياتي صادفت أول حب في حياتي، مصادفات القدر المريبة التي دائماً وأبداً أحاول الفرار من غرابتها.

ليلتها رجعت لي كل أحلامي القديمة، فتارة أرى أحمد يأخذني في أحضانه الحارة، وتارة أراه يتحول لفؤاد، وطوال الليل كانت المشاهد تتغير، إلى أن صحوت من أحلامي على صوت هاتف غرفتي يرن، رفعت السماعة لأسمع صوت أحمد.

- صباح الخير ليلى، حبيت أصبح عليكي واعتذر لك عن إمبارح.. كنت مندفع لأني بقالي كتير عايز أشوفك وأكلمك عن إللي جوايا

ومكنتش عارف إزاي أبدأ، بس لما لقيتك قدامي معرفتش أقاوم رغبتي بالكلام معاكِ.. بعتذر وأتمنى توافقي نفتح صفحة جديدة مع بعض، كأننا اصحاب قدام، وزي ماتحبي طبعاً مش هافرض عليكِ حاجة..

- صباح الخير أحمد، معلش أنا مبارح كنت متلخبطة من كلامك ومن المفاجأة بشوفتك، اعذرني أنت.

- بالعكس أنا مقدّر جدًا إللي حصلك.. ممكن تسمحيلي نفطر سوا.. أقابلك في البوفيه كمان ربع ساعة؟

- أوكي، بس من فضلك بلاش كلام في إللي فات، أنا جايه هنا عشان اريح دماغي وقلبي.

أغلقت الهاتف ولبست فستانا أبيض عاري الكتفين، ربطت شعري ذيل حصان ونزلت إلى اللوبي والأفكار تعصف بي، كيف سأقضي أيامي هنا مع أحمد، هل سأحّن لأحضانه كما كنت طوال عمري؟.. وماذا عن فؤاد، كيف يختفي بلمح البصر هكذا مع أول ظهور لأحمد؟.. كيف رغم كل هذه السنين لازلت أحب أحمد حتى بعد صدمتي به، ورغم جرحي الذي لا يزال ينزف إلا انه لم ينل من حبي له كثيراً، أحمد حلم العمر وسنين الشباب وأجمل أيام حياتي...

- صباح الخير يا عصفورتي الجميلة، دايما جميلة ومشرقة يا ليلى، ماتغيرتيش عن زمان، بالعكس حضورك زاد جمال ورونق.

- ميرسي يا أحمد صباح الخير..

- يلا بينا ع البوفيه لأن الشعب كله صحي ويمكن مانلحقش نفطر..

- هاهاها، يلا بينا.

لا يزال أحمد يستطيع رسم البسمة على شفتي وينتزع الضحكة من قلبي بسرعة قفشاته وخفة ظله، لا يزال له تأثير السحر على مزاجي المتقلب فأهدأ بمجرد سماع صوته ورؤية عينيه الباسمتين، ولا يزال قلبي يسكنه الشغف... يا الله، كيف السبيل، كيف الهروب من هذا السحر الذي يتملكني منذ وعيت عليه.

قضينا اليوم معاً، بعد الافطار تمشينا على الشاطىء ثم افترشناه جلوسًا تحت أشعة الشمس الدافئة، ذكّرني بأيام الجامعة، وبعض أصحابنا من الشلّة، مَن سافر ومَن تزوج ومَن لا يزال عازباً... تكلم عن زواجه من نهى وكيف انتهى بسبب أطماع والدها وإهمالها له كزوج، كان كل ما يهمها النجاح في عملها فقط وطاعة والدها في أي أمر حتى وان كان الزواج أو الطلاق.. كانت إبنة بارّة بأبيها لكنها لم تكن زوجة صالحة..

طلبت من أحمد الكف عن الحديث عن الماضي وعدم ذكر ما حدث مرة ثانية، فلا رغبة لي بحديث الذكريات المؤلم..

قطع حديثنا رسالة من فؤاد يطمئن على حالي ويسأل عن يومي كيف أقضيه... لم أعرف ماذا أقول له فقررت عدم الرد وتجاهل فؤاد تماماً في هذه الرحلة.. لم اسأل نفسي لماذا، كل ما دار ببالي عندها أنه

لا وجود لفؤاد، أحمد فقط موجود بشدة، حضوره الطاغي مسح كل من كان موجودًا في حياتي ومن أتى بعده أيضًا.

قطع حبل الذكريات صوت أحمد الحنون الموصول منذ الأزل إلى شريان قلبي المترع بحضوره الأنيق...

- وحشتيني!

كيف لصوته الأجش هذا التأثير على نفسي، كيف لمشاعري أن تنهار أمامه في كل مرة يقرر فيها اقتحام حياتي أو مشاعري... لن أسمح له، هذه المرة لن أرضخ ولن أضعف.

الآن وقت الفرار، حملت أغراضي ووليت هاربة نحو غرفتي، أوصدت بابي قبل أن أنهار أمام طوفان سحره الآسر مرة أخرى، أخشى التواصل معه، فقد يكون فيها نهايتي أو دماري.. لن اتذوق كأس اللّذة المرّ حتى لا يعتصر قلبي حتى الموت.

رفعت سماعة الهاتف وطلبت من موظف الإستقبال عدم تحويل أيّة مكالمات، أغلقت هاتفي النقال وجلست في الشرفة قبالة البحر أراقب أمواجه المتمردة وهي تضرب الشاطىء بعنف وصخب، وأحمد لم يغب عن بالي لحظة واحدة.

سمعت صوت نقر خفيف على باب غرفتي...

- ليلى، ممكن من فضلك تفتحي اتكلم معاكِ، مش هاعيد وازيد في الماضي، عايز اتطمن عليكِ، من فضلك أنا واقف مستني تفتحيلي ومش هاروح إلا لما تردي علي..

قررت عدم الرد على أحمد الواقف خلف باب غرفتي وجلست هادئة لم أدر بالوقت، هل كانت خمس دقائق أم خمس ساعات؟.. فقط جلست صامتة ودموعي لا تتوقف، قلبي يلّح علي في فتح الباب، وعقلي يرفض هذه الخطوة، وأحمد واقف على بابي ينقر الباب بنقرات خفيفة بين الوقت والآخر وكأنه يراهن الوقت على هزيمتي !

أخيرا وبعد صراع طويل بين عقلي وقلبي، خسر العقل وفتحت الباب لأجده جالسا على الأرض سانداً ظهره إلى باب غرفتي، نظر لي نظرة عتب واشتياق ورغبة، ونظرت له نظرة انكسار واحتياج...

تركت الباب مفتوحا ورجعت إلى الشرفة، إلى الهواء النقي، ظلّ مكانه واقفا برهة، سمعت صوت الباب يغلق وصوت خطواته تقترب، أغمضت عيني عندما أحسست بأصابعه تلعب في خصلات شعري فشممت رائحة رجولته كما كنت أفعل دائماً، أخذني بين ذراعيه واحتضنني كانه لم يتركني، كأن السنوات لم تهدىء أشواقنا قط أو يغفلها الفراق بقسوته، كأنه كان معي طيلة الوقت، لم يتغير ولم أتغير...

لم تنطق شفاهنا بحرف واحد، بل تركنا لغة العواطف والمشاعر تتحدث عن نفسها بلا تحفظ حديثاً طويلاً على حوافي اللهفة لا يخلو من العتب والحنان والقسوة والشوق المغلف بنيران الوصل، يسكّن آهاتي وأسّكن جموحه، يروي عطشي برجولته وأزيده نارا بأنوثتي...

مازالت رائحة جسدك شهية، أصابعك رشيقة، أنفاسك ساخنة،

وصدرك الواسع سكني كأنك يا أحمد لم تعرف نساءاً بعدي وكأني لم أعرف رجالاً بعدك، كنت أخبىء لك جرار العسل وأعلم أنك سترجع تتذوقها يوما ما..

كيف استطعت ان تعيش طويلاً بدوني.. قل لي كيف يتحول الجسد معك لجمرة رطبة مليئة باللذة المستعرة تستكين بين ذراعيك، يتوسدها الشوق والرغبة المتأججة التي تأتيني على شكل ذبذبات حارة تلفحني بنار لا تنطفىء إلا عندما تعتصر اللذة المتدفقة من ثنايا العطش الأزلي فيذوب الإحساس بين شفتي المشهد.. نارا تأكل نارا، تتلاحمان تلتهم بعضها البعض وتزيد في ارتفاعها..

جسدان يرتقيان بالشهوة فيتحول المشهد لكتلة من الهذيان القوي والغلبة لمن تكون ناره الأعلى كي يزيد في احتراق الآخر ويشعلها مرّة بل مرّات متتابعة هذيان مابعده هذيان..!

عشت مع أحمد اياماً كالسحر اللذيذ، حلماً جميلاً أخذني لأوقاتٍ خلت كان فيه عنفوان الشباب عاتياً كأمواج البحر لا تهدأ ولا تكل، كنت أعلم بأنى لست بطهر مريم العذراء كي أقاوم شوق أنوثتي إلى أحضانه، أيّام من الجنّة أو هكذا كنت أسمّي أيّامي في أحضانه.

في لحظة ما لم أعد امرأة حرة بل رجعت عابدة في محرابه، حتى حان موعد عودتي إلى أرض الواقع وانتهاء الحلم، رجعنا متشابكي الأيدي، فرحين وقلوبنا مليئة بالطاقة والحياة... رجعنا إلى بدايات شبابنا الأولى حين كان صدره موطني وحضني بيته، كنّا كمن عاد إلى

الحياة مرة أخرى بعد فقدان الأمل منه، كنت متوردة الخديّن تنطق عيني بحب الحياة.

استقبلني عاصم باستغراب وتكشيرة فشل في إخفائها عندما لمح أحمد بجانبي فلم ينطق بكلمة، وانهاءً للوضع المخجل بادرته بالحديث...

- إزيّك يا عاصم.

- ده أحمد زميلي من أيام الجامعة، قابلته بالصدفة في الجونة.. ولم أزد حرفا.

- أهلا أحمد..

- اتشرفت بمعرفتك..

ولم يزد أحمد أيضا!

همهم أحمد ببضع كلمات واستأذن بالإنصراف بلا مقدمات، لم أحاول إستبقائه ولم يعرض عاصم عليه إيصاله ، ظللت صامتة طوال طريق العودة للمنزل، أما عاصم فكان يتكلم في أيّ موضوع تافه فقط لكسر حاجز الصمت السخيف...

كنت ألبس نظارة سوداء لإخفاء مشاعري عن عاصم، حتى صوتي حاولت جعله متماسكا بدون تفاصيل خوفاً من الوقوع بالإعتراف له بما حدث أثناء سفري! كنت كطفلة أذنبت ذنباً شديداً تحاول اخفائه عن أمها كي لا تخسر حبها أو تعاقبها...

الحب مع أحمد لا صبر له..يعلّمك كل شيء دفعة واحدة، الشيء

ونقيضه في تجربة واحدة، يعلّمك أن تكون أنت وآخر في آن واحد ويجعلك ممثلاً من الدرجة الأولى، على الأقل أمام عاصم...

لم يخل هاتفي من إتصالات أو رسائل فؤاد ولم استطع الرد عليه أو على رسائله حتى اليوم التالي صباحاً، عندما بعث لي برسالة يقول فيها إنه يقف منتظراً أمام باب بيتي إما أفتح له أو يرحل، لم أستطع تركه واقفاً على الباب بدون إيضاح أو تبرير لما قررته، فاستقبلته ببرود وهدوء:

- تشرب فنجان قهوة؟

هممهم موافقاً، بدت عليه آثار التعب والارهاق.. لم أره بهذا الحال مسبقا... الهالات السوداء غزت جفونه ورائحته تفوح بالسجائر.. أمسكت يده الباردة وطلبت منه أن نجلس في الشرفة التي نادراً ما كنا نجلس فيها سابقاً..!

- ليلى، حاسس إنك قررتي قرار صعب بس لازم أفهم أنا غلطت في إيه معاكِ، عملت إيه أستاهل عليه هجرك ده وعدم ردّك على تلفوناتي ورسايلي بقالك اسبوع؟ حتى وان كان القرار مش هايعجبني من حقي أعرف وبصراحة ليه بتعملي كدة معايا؟

أطرق برأسه أرضا ممسكا به بيديه الإثنتين وظل صامتا ينظر للأرض.. لم أنبس ببنت شفة، ظلّ نظري معلقاً بالشرفة بلا رد فعل أو تصرف يوحي بأني سانطق بالقرار الذي ينتظره مني..

ماذا أقول له...؟ قابلت أحمد بالصدفة وأستسلمت له في أول

فرصة وخنته، برغم أنه ليس زوجي أو كنت حتى موافقة على الزواج به؟ وبماذا أعلل له صدّي عنه ونفوري منذ ظهور أحمد في حياتي مرة أخرى، كيف أكسر قلبه بهذا الشكل القاسي؟

سكوتي ليس هروبًا او خوفاً منه، بل خوف عليه من الحقيقة التي ستجرحه وتظل وشم أسود في علاقتنا.. هو لا يعلم ماذا يمثل لي أحمد منذ نشأتي حتى الآن...

حلم الصبا لم يكن نزوة ومرت، أحمد حفر في قلبي وجسدي أخدوداً لا يمتلىء إلا بوجوده هو فقط، وأيّ محاولة للتعويض مجرد أكاذيب تعمل على العقل وليس القلب والمشاعر.

الحقيقة التي حاولت العيش بدونها سنيناً طويلة.. هذا هو أحمد، نبضة القلب التي حاولت تجاهل وجودها في حياتي وأن أئدها في حنايا القلب، وعندما عاد لي عاد قلبي لينبض مرة أخرى بقوة الحب الغير مشروط، بقوة العشق المطلق دون أن أعطي انطباعًا للآخرين بأني لاهثة في الواقع!

ظللت صامتة وظل صامتا، حتى قام فجأة بدون استئذان، فتح باب المنزل وأغلقه خلفه بهدوء...

عشت صراعا مابين فرحتي بعودة أحمد وإحساس الذنب ناحية فؤاد لم يخلصني منه إلا وجود أحمد وتصدّره الموقف بلا منازع..

حتى عاصم كنت أرّد على مكالماته اليومية بشيء من التحفظ، بدون ذكر أيّة تفاصيل تخصّني أو تخّص مشاعري.. مجرد دردشة

يوميّة عن أحواله وما أحب ذكره عن أحوالي فقط..

كنت كثيراً ما أصمت مستمعة له بدون حضور، بدون روح المشاركة في الحوار فيصمت هو أيضا ويتعلل بانشغاله لينهي المكالمة بدون ان يحرج نفسه أكثر!

هكذا كان تأثير وجود أحمد في حياتي، إنعزالي مرة أخرى عن العالم وعن المشاركة إلا له ومعه فقط...

ظلّ أحمد يتردد عليّ بين الحين والآخر، نخرج سويّاً نسهر أو نتعشى ونرقص، نعيش لحظات من الخيال كأني ملكت العالم بيدي، مجرد وجوده يعطيني مفاتيح السعادة كلها مرة واحدة لتنهمر على قلبي فيها كل ألوان الفرح ويغرقني بكل أطياف السعادة والنشوة..

لم نتطرق في الحديث أبداً للماضي ولا للمستقبل، كل ما يجمعنا هو البهجة والمتعة والصحبة الرائعة، حتى فاجئني يوما بجملة غريبة:

- ليلى، تفتكري ممكن الزمان يعيد نفسه تاني بس المرّة دي إنتِ إللي تسيبيني؟

- إيه إللي بتقوله ده يا أحمد، مش فاهمة قصدك؟

- قصدي ممكن تفرقنا الدنيا تاني بعد ما قابلتنا ببعض بالصدفة؟

- والله لو تقصد إني أردلك إللي عملته فيا، فأنا مش بعرف أعمل كده، أنا صافية من جوه تماماً عشان بحبك بجد، وكل مابنسى بترجع تفكرني يا أحمد مش عارفه ليه؟ وبتقولوا على الستات انهم بيحبوا النكد وبيفتكروا حاجات بتنكد عليكم..

- خلاص يا ليلى إنسى إللي قلته، إحتمال أسافر الأيام الجاية، عندي معرض برة واجتماعات.. الدنيا ملخبطة معايا في الشغل الأيام دي ومحتاج أركز، متقلقيش لو انشغلت عنك..!

- إن شاء الله أمورك تبقى كويسة.. بس من فضلك يا أحمد كل إللي بطلبه منك إنك ماتفاجئنيش بغيابك.

بعدها بأيام قليلة اختفى مرة واحدة ولم يتصل لمدة يومان، أتصلت به كثيراً ولم يرد على هاتفي، اختفى كأنّه لم يكن، حاولت الاتصال بشركته وكل ما سمعته أنه سافر فجأة للخارج، عنده عمل مفاجيء..

لم أعرف كيف أتصرّف، أحمد هل اختفيت كاختفائك الأول؟ هل تزوجت مره أخرى وتركتني فجأة..؟

تلاعبت بي الظنون، قتلني الشوق والوسواس ودارت مئات الأسئلة في رأسي، هجرني النوم والأحلام وهجرت الطعام وماتت الإبتسامة.

حتى عاصم لم أستطع الردّ على مكالماته، لم يعد بوسعي أن أمثّل عليه أكثر من هذا..سأصارحه وأطلب منه الدعم وأعلم أنه لن يتأخرعن الوقوف بجانبي وسيسندني في هذا الموقف السخيف الذي وضعت نفسي فيه مرة أخرى...

لن انعزل عن العالم وأنتحب وأبكي مرّة أخرى على أحمد، سأنجو من محاولة إغتيالي هذه المرّة، عُدت إلى نفسى أسألها لماذا لا زلت متعلقة بأحمد هكذا...!

- ألو...

- أيوه يا ليلى فينك يابنتي؟.. بقالي كام يوم بدور عليكِ...

- إزيّك يا عاصم...

- صوتك ماله، إنتِ معيطة؟

- آه...

- فيه إيه قلقتيني عليكِ مالك في إيه؟

وأمام اهتمام عاصم وإلحاحه بدأت نوبة جديدة من البكاء الصامت.

- طيب إقفلي عشر دقايق هابقى عندك...

حضر عاصم وحضر معه الدفء من جديد، بدأ حديثه بعصبية وسرعة...

- مالك قلقتيني فيكِ إيه إتكلمي...

- عاصم، أنا كنت مخبية عليك إن أحمد ده كان حبي الأول....و....

- فهمت، حسيت إن فيه حاجة بينكم لما وصلتك من المطار يوم الجونة... كان وشك متورد وكنتِ مبسوطة وسرحانة، حسيت والله بس مش بتدخل إلا بالقدر إللي بتسمحيلي بيه....هه ماله أحمد بقى وإيه قصته؟

وسط بكائي ودموعي ونحيبي المتقطع، سردت لعاصم حكايتي مع أحمد منذ البداية، استمع لي ولم يقاطعني إلا لعمل فنجان قهوة أو لمسح دموعي... ممسكاً بيدي تارة مربتاً على كتفي تارة أخرى...

سردت له مرارتي ووجعي، فقدي لكل من أحببتهم وأحبّوني، ركضي وراء وعوده الكاذبة وخيانته التي قطمت ظهري وكسرت قلبي، انهياري، ضياعي وعودة روحي بعد لقائي بطارق، ومن ثم ظهور أحمد من جديد الذي أعادني لما كنت فيه من تخبط وخوف وقلق من المجهول...

- طيب يا ليلى أحمد ده إللي تعبك في حياتك كلها مش هأقولك رجعتي له ليه لأني عارف قوة الحب وتحكماته في القلب، بس هأقولك حاجة تانية إنتِ متوقعه منه إيه بعد الي قلتيه؟.. إنسان بتاع وقته ومصلحته، عايزاه يتغير ليه بعد كل السنين دي، متوقعة انه مثلا هايقولك يلا نتجوز... طب وفرضا اتجوزتيه هاتبطلي تقلقي من خيانته أو إنه في يوم هايسيبك لواحدة تانية حسب مصلحته؟

ثم استطرد قائلا ....

- ليلى، أحمد يعرف حاجة عن ثروتك؟

- لا ما قلتلوش أي حاجة ماديّة تخصني...هو فاهم إني بشتغل وبس...

- طيب من فضلك لو ظهر تاني بلاش تفهّميه أيّ حاجة عن ماديّاتك خالص... سيبيه فاهم إنك موظفة وليكي راتب شهري وبس زي مإنتِ كده...

- انت متخيل إن أحمد هايطمع في مالي؟ قول بصراحة عايزه أفهم قصدك....

- أحمد إنسان مادّي ويهمّه مصلحته أولا، ولو عرف إنك وريثة لملايين عمره ماهايسيبك... كلامي ده أنا واثق منه بعد إللي عمله معاكِ في الأول... وعلى العموم سيبيني أسال عنه وأشوف وراه إيه، وأعرف هو عاش الفترة إللي فاتت إزاي وبيعمل إيه حاليا عشان أمانك إنتِ... بس إنتِ ماقلتليش هو عرض عليكِ الزواج؟

- لا ماعرضش، آخر مرة قالي إنه ممكن يختفي لأنه عنده مشاكل في شغله، وكل الي قلتهوله إنه مايفاجئنيش بتصرف يتعبني، أقصد إنه مثلا يهجرني أو يتجوز فجأة زي ماحصل أول مرة....

- طيب سيبي لي الموضوع ده، وماتتصليش بيه تاني، خليه لحد ما يظهر تاني وهانشوف التطورات، ممكن من فضلك تهدي بقى خالص وماتحاوليش تتصلي بيه تاني؟

- حاضر!

مر يومان ثقيلان حتى جاءتني مكالمة من عاصم يخبرني أنه قادم لزيارتي...

- جبت لك اخبار أحمد كلها وقراره... بقاله فترة متعسّر مالياً وعنده مشاكل مع شركاه مش عارف يطلع منها... حاول ياخد قرض من البنك ماقدرش لأن معندوش حاجة تترهن غير الشركة الغرقانه في الديون... حاول يبيع السعر مجابش قيمة الديون فبيحاول يشتغل.. هو فعلا سافر يشوف شريك أجنبي تاني يدخل معاه ويجيب شغل يشغّل بيه شركته... ومصادرى أكّدت إنه مفيش ست في حياته غيرك...

طبعا كان نفسي يطلع فيه ستات تانية عشان تبعدي عنه لمصلحتك بس للأسف هو غرقان في حل مشكلة الديون، والمفروض راجع كمان يومين، وبرغم كدة مالوش حق أبداً انه مايقولش ليكِ انه مسافر كدة فجأة، ده مش إحترام للعلاقة الي بينكم...

عاصم تحدث بتلقائية محاولاً إخفاء غيرته الشدّيدة من أحمد، حاول أن يكون حياديّا لكنه لم يستطع إتقان الدور، هو يحاول إخافتي من علاقتي بأحمد بسبب تعسّره المالي، تمثيله واضح تماماً لي وان كنت لا أشك أن دافعه هو الخوف والقلق علي مصلحتي... وقبل هذا بالتأكيد حبه لي..!

هدأت كثيراً بعد زيارة عاصم وبدأت استعيد توازني وشهيتي للطعام وأرجع للعمل مرة أخرى، اقرأ مشاكل القراء واجيب عليها بتعقل شديد محاولة تجنب الهوى وما ينم عن الهوى، كما كنت سابقا قبل لقاء أحمد الثاني...

- وحشتيني.

هكذا بدأ أحمد حديثه عبر الهاتف...

- وحشتيني أوي، افتقدتك، ومن غيرك بعيش بدون إحساس، شغل في شغل، حياة جافة، ليلى وحشتيني مابترديش ليه، أوعي تكوني زعلتي إني سافرت فجأة، أنا قلتلك إني مشغول وعندي مشاكل في الشغل، أرجوكِ ماتزعليش... ماتعرفيش غلاوتك عندي ولا تعرفي اضطريت فجأة أسافر ليه... لما اشوفك هاحكيلك، ممكن اشوفك الليلة؟

كعادتي لم امانع في زيارته!.. فطالما ليس هناك نساء غيري في حياته فالعمل علينا حق، فهل نحن ضحايا أنفسنا أم الآخرون، مجرد حجة.. سنرى .

- إتعودت على وجودك في حياتي ومش عارف أعيش من غيرك؟ خايف أقولك يلا نتجوز لأني مش عارف إن كنتِ هاتوافقي وأنا وضعي في العمل مش مستقر، بس هأقولك مش هاتجوز حد تاني غيرك، لو وافقتي هأكون أسعد انسان في الدنيا، ولو ماوافقتيش برضو مش هاسيبك، أنا عايزك ....

اعتدلت في جلستي وأشعلت سيجارة مستغلة الوقت لجعل الكلام محبوسًا لبرهة لترتيب الكلام والتفكير... هل أبدأ حديثي معه معاتبة على غيابه أم أوافق على طلب الزواج أم أرفض أم استمر في نفث دخان سيجارتي المرتعشة بصمت... كل ما استطعت فعله أن أنظر إليه وهو ممدد عاري الصدر بجانبي يرمقني بشيء من الفضول، منتظراً بدئي للحديث..!

كم أنت وسيم يا أحمد.. أراك لا كما يراك الآخرون.. أراك حضني الأزلي، مسقط راسي الأول، رجلي الأوحد.. لا زلت اميري وفارسي الذي لا يشق له غبار، غار منك الرجال وأغريت النساء بحسنك بعد يوسف... فهل أنت وسيم كما أظنّك أم أن الحب هو ما يجعلك في نظري مجردًا من العيوب؟

أفقت من أفكاري الشاردة على قبلة حارة في نحري.. أحمد يعرف

كيف يستقطب أحاسيسي ويشرد أفكاري...

- يلا بقى اتكلمي...

- إنت عارف إن عمري ما حبيت غيرك برغم كل إللي حصل وبرغم السنين، حتى لما قابلتك مكنتش قادرة أمنع نفسي عنك... مش عارفة حقيقي أتعامل معاك إزاي، بتغيب وقت ماتحب وتظهر وقت ماتحب ومعتبر وجودي في حياتك أمر مسلّم به طالما بحبك ومش معترضة، أو يمكن معتبر اني مش قادرة أعترض على أي تصرف بتعمله أو كلام بتقوله... أحمد أنا محتاجة منك أكتر من الحب، محتاجة منك الأمان...

ماتردش من فضلك خليني أكمل كلامي... أنا مش حاسة بالأمان معاك مش عشان انت خنتني مره وسبتني واتجوزت غيري، ولا عشان قعدت سنين طويلة بعيد ماحاولتش تكلمني أو تقابلني أو حتى تبعتلي رسالة اعتذار...

مش عشان كده وبس، إنت أناني وتعبت من أنانيتك ولو إني مش عارفه أتعب من حبك أبداً... ياريت تفكر قبل ماتقول إنك عايز تتجوزني أو تستمر بدون جواز لأنك عارف إني مش هاكمل معاك بدون زواج، وكمان مش عارفه أوافق على عرضك ده... ببساطة أنا خايفة منك!

جذب رأسي إليه بقبلة طويلة أفقدني فيها اتزاني وتركيزي وخوفي وتمنعي..

بعد لقائي الاخير بأحمد بدأت زياراته تكثر، فتارة يشتاقني وتارة أخرى جائع يريد التهامي مع الطعام، وتارات أخريات عشق وقبل وأحضان ووو...

كان عاصم كثير الإتصال والسؤال، كثيراً ما أبدى قلقه وقليلاً ما تحفظ في إبداًء رأيه بأحمد وتحذيري من مغبّة الإستسلام لعواطفي هكذا دون لجام...

استحق أنا هذا الذنب، فأنا من أعلمته بقصتي وأدخلته كطرف ثالث في هذه العلاقة، حتى خطر لي خاطر غريب فقررت تنفيذه.

- ألو...

- ليلى عامله إيه النهارده بقالك يومين مش بتكلميني قلت أكيد مبسوطة وأحمد مش مزعلك.

بعد هذه الجملة أحسست بغيرة عاصم وألمه وكرهه لأحمد.

- عاصم إيه رأيك أعرفك على أحمد نخرج نتعشى كلنا سوا..؟

-.....!.

- سامعني يا عاصم.

- عايزاني أقابله ليه يا ليلى، خليكي دوغري.

- يمكن تقدر تحكم على شخصيته أكتر مني وتقولي رأيك.

- مش محتاج أقابله عشان أحكم عليه يا ليلى، خلاص فهمته وقلتلك.

- نفسي يحصل لقاء بينكم، أكيد هاتعزز رأيك فيه أو تغيره مثلا؟

- اه قولي كدة بقى، عايزاه يأثر عليّ زي ماهو مأثر عليكي ومخليكي مش شايفة غير إللي هو عايزك تشوفيه.. مش هاينفع يا ليلى أنا أرفض هذا التعارف لأني مؤمن أن علاقتك بيه خطأ من الأساس، وبعدين مباركتي للعلاقة دي غير واردة أيا كانت الظروف، ده لو يهمك مباركتي أساسًا.

حمدت الله أني لم أعلم أحمد بقراري قبل محادثتي مع عاصم، وأنهيت المكالمة مع عاصم بخيبة امل كبيرة فهو عنيد وعندما يصّمم على أمر ما لن يغير رأيه أبداً..!

***

صحوت من نومي مفزوعة على صوت لوزة تصرخ من الألم، فقررت الإتصال بفؤاد وإن كنت أعلم أنه سيأتي متضررًا، ولكن لم يكن أمامي خيار آخر، فلوزة تتألم ولا أعلم ما بها.

حضر فؤاد مع كثير من التحفظ، وبعد الكشف على القطة طلب مني إحضار أدوية ومحاليل كي يعالجها بها قبل أن يغادر.

- خير مالها يا فؤاد؟

- عندها إلتهاب مثانة ومحتاجة علاج فوري مع المحاليل، وطبعا مش هاتعرفي تديهم لها، عشان كده مضطر آجي مرتين في اليوم أديهم لها أو تسيبيها في المستشفى عندي وأنا أعالجها.

- مش هاقدر أسيبها معلش هاتعبك معايا، مش عايزاها تتألم وهي وحيدة، على الأقل أنا جنبها هنا في بيتها، متشكره على تعبك

معايا.

- نظر لي نظرة طويلة كلها عتب، وقرأت في عينيه لمعة ألم وحزن وبقايا حب. !

- لا مفيش تعب يا هانم، إنتِ عارفة معزتك عندي وكمان ده واجبي كطبيب.

طلبت من أحمد أن يقلل زياراته لي بسبب مرض لوزة، وكان هذا السبب الظاهر، والسبب الخفي كان خشيتي من أن يراه فؤاد الذي بدأ زياراته وعلاجه لقطتي التعبة، حتى انتهت فترة علاجها وانتهت زيارات فؤاد الذي لم يحاول التطرق بالحديث عن الماضي.. بالتأكيد كرامته تؤلمه وتجعله لا يعاود فتح قصّة حبه لي، أحسست بالخجل من نفسي وأنانيتي المفرطة في التعامل معه، ورغم ذلك ظل يهاتفني يوميا للإطمنان على حالة لوزة.

حتى حدث ما لم يكن في الحسبان، رآني فؤاد في سهرة مع أحمد نرقص وكان يجلس مع اصدقاء له، دفنت وجهي في كتف أحمد لأتوارى عن عيون فؤاد الذي يبدو أنه أفرط في الشرب، فجأة قام من مكانه ووقف ينظر لي حتى انتبه أحمد وتوقف عن الرقص ونظر له بعدوانية، فبادره فؤاد.

- آسف، افتكرت إني أعرف المدام إللي بترقص معاك..فرد عليه أحمد بعصبية وصوت عال:

- حضرتك حتى لو تعرف المدام، مش شايف إن معاها راجل؟

- آسف مرة تانية بعتذر.. انصرف مبتعداً دون محاولة النظر خلفه.

- تعرفي الراجل ده؟

- أأأنا..

- ماتحاوليش تكدبي يا ليلى، بصة عينه بتقول إنه عارفك كويس أوي.

- طيب تعال نقعد وهاحكيلك.

سردت لأحمد قصتي مع فؤاد، وأن سفري للجونة كان بسببه، حتى قابلت أحمد فمسح من ذاكرتي وحياتي كل أثر له.

سكت أحمد طويلا منصتا لي، محاولا السيطرة على أعصابه بتجرع كأس وراء الآخر حتى أصبح ثملا، طلبت منه ان ننصرف حتى لا يتصرف تصرفا أهوجا.. أوصلني ورحل، بعدها قضيت أياما من الصراع والحيرة، هل أتصل به أم أنتظر حتى يهدأ ويتصل هو؟

كان عاصم متابعا لي وللأحداث من بعيد، مؤكدا على أن أحمد لا يصلح للزواج ويجب أن أنهي علاقتي به أو أتحمل العواقب بسبب ضعفي أمامه...

أصبح عاصم عصبياً جداً وكثير الإنتقاد لدرجة أرهق بها أفكاري، فأنا أثق برإيه ولكن كيف السبيل لتنفيذ ما يمليه علي مع إقتناعي بصواب رإيه، وأنا الضعيفة المسكونة بهاجس أحمد لدرجة الإستسلام لكل ما يفعله؟

- لازم تسيبه يا ليلى.

- أسيبه ليه يا عاصم، أنا مبسوطة معاه، أنا فعلا عايزة أعيش عمري كله معاه.

- هايتعبك ويرجعك لمرحلة الصفر ويستهلك كل مشاعرك وعمرك زي ما عمل قبل كدة، أحمد مش عارف هو عايز إيه، عايز يبقى ناجح في شغله بس مش مهم عنده إنتِ ولا غيرك إللي تحقق له الكلام ده، هو بس بيسترجع معاكي شبابه ولو لقي واحدة تانيه تقدم له أكتر من إللي بتقدميه هايسيبك بدون ما يتردد لحظة واحدة.

- معلش يا عاصم أنا مش مقتنعة بكلامك، مع إحترامي لرأيك أنا شايفه انك بتتجنّى على أحمد أوي مش عارفه ليه، بصراحة حاسه إنك بتغير منه.

سكت عاصم كثيراً قبل أن يجيبني بصوت مبحوح.

- وإيه إللي هايخليني أغير؟ أنا عايز مصلحتك ومفيش أي حاجة تانيه ممكن تيجي في بالك أو يصورهالك خيالك، إنتِ صديقة بعزها وبحترمها، وطارق الله يرحمه وصاني عليكي كتير وإنتِ عارفة ده كويس، ومفيش أي سبب تاني..!

قلل عاصم من سؤاله اليومي عني وأصبح يحادثني محادثات روتينية جافة للإطمئنان، ويسألني ان كان لي حاجة يقضيها لي بدون التطرق لسيرة أحمد... وأحمد لم يعد كما كان، أصبح كثير الصمت والتجهم والغياب، حتى عندما يكون حاضراً يكون غائب المشاعر.

طلب مني عاصم اللقاء لأمر مهم.. تقابلنا في مطعم كنا نرتاده كثيراً بمنطقة الزمالك، جلسنا إلى طاولة بعيدة عن الضوضاء تتوسطها شمعة صغيرة داخل كرة بلورية حتى لا يطفئها الهواء البارد الصادر من المكيف، تتهادى إلى أسماعنا موسيقى للموسيقار الشهير يانّي بهدوء يتمازج مع ألوان المكان الدافئة فيسري الخدر في الأعصاب بهدوء عبقري... لابد أن من أخترع هذا الديكور له علاقه بالطب النفسي، ما يفعله مكان كهذا جميل وأثره رائع على النفس.. هذا ما دار برأسي وأنا أدندن مع الموسيقى بعفويّة طفولية.

عاصم كان بعيدًا عن الهدوء يتابعني بعيون كالصقر المنتظر لحركة فريسته كي ينقّض عليها من حيث ضعفها..هكذا كان عاصم يعشق التفاصيل الصغيرة التي لا تثير إنتباه الآخرين كي يثري بها طاقاته الكامنة والتي لا يخرجها إلا في اوقات الشدّة، وهاقد حان وقتها.. هذا ما أحسسته وأنا أحاول أن أتشاغل عنه بمتابعة من حولي من رواد المكان الأنيق.

- هاه.. هانتغدى إيه يا عاصم، قررت؟

- مممم ممكن أختارلك أنا الأكل؟

- أوكي ! انت عارف ذوقي وياما اتغدينا سوا، هاسيبك تفاجئي المرة دي..!

ضغط على زرار صغير لطلب الجرسون، وطلب منه أطباق من السومون فوميه والحمص وبعض المقبلات الأخرى..أما الطبق الرئيسي

فكان من الأسماك وفواكه البحر..

بانتظار الوجبة العامرة، حاولت أن أستشف منه سبب هذه الدعوة المفاجئة وإن كنت في قرارة نفسي شعرت ببعض القلق من هذا اللقاء، لكني حاولت تجنب التكهنات التي قد تأخذني في إتجاهات خاطئة فيظهر التوتر على ملامحي وصوتي.

- ليلى أنا اترددت كتير قبل ما أطلب أقابلك، لكن لقيت إن فرصي في الكلام مع الوقت بتقل، وقلت لنفسي لو ما اتكلمتش دلوقتي يبقى عمري ما حاقدر اتكلم معاكِ بالموضوع ده تاني..!

- مالك يا عاصم، ومن إمتى احنا بنفكر قبل ما نقول لبعض أي كلام عايزين نقوله؟ من إمتى فيه بينا حواجز عشان نقول اي حاجة جوانا؟

- عايز أتكلم بدون ما تقاطعيني أو تلخبطيني فاضطر أقول حاجة قبل حاجة، من فضلك إسمعيني عشان ماتفهمنيش غلط...

- أوكي..!

- أول ماعرفتك كنتِ زوجة لصديق عمري الله يرحمه، وكنت بشوفكم أسعد اتنين في الدنيا لدرجة اني حسدت طارق على اختياره، وحتى لو كان عاش معاكِ وقت قليل بس أنا متأكد إن عمره ما كان هايكون أكثر سعادة من الوقت إللي قضاه معاكي، شفت الفرحة في عينيه لما بيشوفك ولمعة عيونه لما بيسمع صوتك، وكنت أتمنى أحس الإحساس إللي جمعكم ببعض.

ولما توفى طارق أنّبت نفسي على أنانيتي، وقد إيه كنت مش شايف إلا نفسي، وحاولت اعّوض ده في صداقتي لكِ المجردة من أي غاية أو مصلحة شخصية، وعمري ما بصيت لك إلا كصديقة وإنسانة بحترمها وبقدرها وبتمنى لها السعادة بغض النظر عن أي حاجة شخصية جوايا تخصك.

أنا من زمان متعلق بيكِ ونزولي مصر كان عشان افضل جنبك وأتطمن عليكِ، ومجرد وجودي معكِ في أي حاجة كان بيسبب لي سعادة كبيرة، أنا بستمد من إحساسي بيكِ طاقتي للحياة كلها.

إنتِ عارفة إني اتجوزت قبل كدة جواز صالونات لكن عمري ما حسيت ولا جربت الحب والغرام زي ما كنت بشوف في الأفلام أو حتى زي ما شفته معاكِ إنتِ وطارق... مش هأقولك بحبك لأنك بتحبي أحمد ومش شايفة غيره، لكني فعلا ومن زمان بتمناكِ وكنت بعشّم نفسي إنك في يوم هاتحسي بي وتبقى زوجة ليّ وتشوفيني زي مابشوفك من جوة..

انقطع الحوار مع قدوم الطعام ولم أرد بأي كلمة، حاولت التركيز على الطعام كي أعطي نفسي فرصة لترتيب أفكاري وماذا أقول له، ماذا أفعل وأنا مكبلة العاطفة لأحمد؟

عاصم من أكثر الناس قربا لقلبي وعقلي، صديق صدوق أأتمنه على نفسي ومالي، لكنه يطلب مني ماهو أكثر من الصداقة أو ما لا أملك.. قلبي وعاطفتي.

الأحداث تتسارع بدون ان أعرف كيف أسيطر عليها، وماذا أملك من أمري الآن غير أن أعتذر منه بلباقة وتقدير مشاعره المرهفة بدون أن أجرح عاطفته الراقية والتي كنت أتمنى أن أكون حرّة العاطفة والجسد كي أبادله إياها.. منذ متى كان لنا على القلب سلطان، وسلطان قلبي متربع على عرشه مستبد.

- مش عايز منك رد يا ليلى، حبيت أعترف لك وأريح ضميري من العبء على قلبي بسبب الشعور إللي مليش يد فيه ده، ومش هاطلب منك تبادليني مشاعري، وعارف إنك مش هاتعرفي تخوني إحساسك ناحية أحمد، لكن عايزك تتأكدي إني ظهرك وسندك في أي وقت حسيتي انك محتاجة راجل يسندك ويقف جنبك، إيده في إيدك..ومش هأقولك أكتر من كده.

يا إلهي كم أراحتني كلماته الأخيرة وأزاحت عن قلبي عبء الرد.

- عاصم أنا حسيت بمشاعرك لكن كذّبت نفسي وقلت مفيش إنسان بيحب حد بدون ما يكون عايز منه مشاعر قصاد مشاعره، لكني اكتشفت إني مخطئة تماماً، إنت ملاك مش إنسان عادي كونك تحبني الحب ده كله بدون ما تبيّن لي أو تحاول تستغل ده حتى في أصعب لحظات حياتي إحتياجا لسند، ده ملوش معنى غير إنك فعلاً راجل نبيل ومحترم وبتحب بإخلاص، ومن الزمن الجميل إللي كان فيه الراجل يعرف يعني إيه رجولة ومواقف نبيلة.

تعرف بعد كلامك ده كنت أتمنى إن أحمد مكانش ظهر تاني في

حياتي وأرجع لوحدتي، أكيد ساعتها كنت هاشوفك من جوه أكتر من كدة أو الغمامة تروح من على قلبي وأقدر أبادلك ولو جزء بسيط من عواطفك الرائعة دي... لكنك أكتر واحد حافظني وفاهمني وعارف أنا تعبانة أد إيه بسبب عاطفتي دي، مقدرش أكون أنانية واطلب منك الدعم والسند وانت بتشوفني بحب إنسان تاني أو معاه وهاسيبك تقرر أي حاجة انت عايزها ومش هازعل منك بالعكس هأحترم قرارك ده...

- ماتكمليش يا ليلى مش هاسيبك وخلينا أصحاب زي ماحنا مش أكتر، ويوم ماتحبي يبقى فيه راجل في حياتك بالشكل الصحيح هاتلاقيني مستنيكِ وقلبي مفتوح لك، وعشان حاسس زيك بالحب بدون مايكون لي سيطرة على إللي اختاره قلبي مقدرش ألومك...أنا كدة إرتحت!

يا عاصم..ما سر محاولتك إغواء ملذاتي، وما سبب انجذاب رجولتك لبقايا امرأة مثلي، ودّعت رغباتي مع آخر رجل كان مَلكا على مناطق الشهوة والرغبة في جسدي المنهك فتحولت البراكين لمياه راكدة تحتاج لسنوات طويلة من المشاعر كي تفور مرة أخرى..

وانت يا أحمد.. كم جرحني فراقك طوال السنين الفائتة، وكم أتعبني لقاؤك أيضاً، فها أنا أقابل حباً صادقاً ورجلاً ودوداً يحبني لشخصي ولروحي، ولأني أنا بدون أن يحملني ما لا طاقة لي به، فقط يحبني بتجرد وحبك كالعادة يقف عثرة في طريقي، لا أعرف ما افعل

بحبك ولا كيف الخلاص.

آه يا أحمد...

لماذا أحبك دون إكتفاء

كأنك لـ عطشي مطر السماء

وكأنك خُلقت كما الرغبة

كما التمنّي بلا اخطاء

وكأنك كنت لجسدي الرداء

فعلمني كيف لا يكون الحب عظيما

وكيف لا ينبت عشقك إرتواء!

هكذا قضيت أيامي مابين لقاء وفراق مع أحمد الذي كان حبي له ولا زال كموج البحر لا ثبات ولا انتهاء وأيضا لا قرار، وأنا الضعيفة كسمكة ولدت من رحم بويضة منسية تركتها الأقدار في قاع مظلم يلعب بها التيار مرّة يميناً ومرّة يساراً، لكنها أبداً لم تنعم بوطن!

- ليلى أنا محتاج أتكلم معاكِ في مستقبل علاقتنا والمرّة دي لازم ناخد قرار..!

هكذا بدأ أحمد حديثه بعد لقاء عاصف تبادلنا فيه كل أصناف مشهيات الحب، أرهقنا بعضنا البعض وأفرغنا شهوتنا بلا تعب ولا ملل أو كلل، كعادتنا في اللقاءات الحميمة لم يكن أحمد إلا جسد خلق من أجل جسدي، وإحساس عاش لاجل إحساسي، ووطن بات لجسدي كالكفن مهما هربت منه مصيري سينتهي بين حبات ترابه.

رفعت خصلة شعري المتهدلة على عيني واعتدلت في جلستي بعد ان أشعلت سيجارتي الأولى في هذا المساء العاصف.

- نتكلم يا أحمد وماله.

- نتجوز بقى ونسكن مع بعض في بيت واحد ونشوف الحياة بيّنا هاتمشي إزاي.

- انت ناقصك إيه في علاقتنا يا أحمد عشان نتجوز؟

- مش فاهم قصدك يعني إيه ناقصني؟

- يعني ناقصك إيه مش بنعمله كأننا متزوجين؟ احنا بننام سوا وبنعيش سوا وبناكل ونشرب ونتنفس سوا... ناقص الخلفة وانت عارف اني معنديش اي رغبة في انجاب وتربية الاطفال خصوصا في سني ده...

- معقولة إنتِ ليلى إللي حبيتها من سنين طويلة وكان أقصى حلمها اننا نرتبط وننشىء أسرة واطفال، بيت صغير كله حب؟

- وانت يا أحمد جاي دلوقتي بعد ما كسرت أحلامي وقلبي تفتكر الكلام ده؟ طبعا ليلى اتغيرت وبقت واحدة تانية أقوى وأقسى، والحاجة إللي مقدرتش أغيرها ولا حتى الزمن كسرها هي حبي ليك، مقدرتش أكرهك أو أنساك، وغير كدة حاجات كتير إتغيرت فيّ وفيك أكيد وفي الدنيا حوالينا.

- أفهم من كدة يا ليلى إنك مش عايزة نرتبط ونتجوز؟

- أنا ماقلتش كدة لكن بسألك إيه هدفك من الزواج؟

- هدفي إننا نتوّج قصة حبنا بالزواج زي أي اتنين بيحبوا بعض وعارفين بعض ومبسوطين مع بعض ومش ناقصهم إلا الشكل الإجتماعي عشان يكملوا حياتهم سوا.

- فهمت قصدك، إنت عايز تكمل الشكل الإجتماعي على أساس إننا خلاص جربنا بعض في كل حاجة والدنيا بقت متظبطه... هل فيه أهداف تانية ولا خلاص كدة.

- مش فاهم قصدك يا ليلى؟

كنت أستدرج أحمد بأسئلتي المستفزة وأجّره إلى قاع الحقيقة المجردة لأعرف نواياه كلها مرّة واحدة، أغوص في خفايا نفسه الكتومة وأكشف الغطاء عما يعتمل في صدره وأعلم ما في مكنون نفسه الغادرة.

- ماعنديش قصد يا أحمد، إنت عايز شكل إجتماعي يتوّج قصة حبنا ولا فيه أشكال تانية ممكن نكملها بعلاقتنا الرسمية بعد كدة؟

بعد تردد قصير قام خلاله وصّب كأساً من العصير شربناه سوياً، أشعل سيجارة وأعطاني إياها، ثم قبّلني في شفتاي قبلة لم أحس بطعمها رغم محاولته أن يفتعل فيها عاطفة ما وبرغم مجهوداته القوية إلا اني لم أتفاعل معه.

- بفكّر نعمل شركة سوا أو مؤسسة صحفية.

- تمام، يعني شراكة حياة وعمل.

- تقريباً كدة، لسة مفيش في دماغي أفكار نهائية، بفكر نستفيد

من خبراتك وخبراتي ونعمل حاجة لينا إحنا الإتنين نشتغل فيها ونبتدي حياتنا مش أكتر..

صمت منتظراً ردي الذي طال قليلاً، حاولت إشغال نفسي بتغيير القناة في التلفاز لقناة موسيقية لكسب المزيد من الوقت والتلاعب بأعصابه ومشاعره، رغبت في جعله ينتظر ردي دهوراً أو للأبد، ولكني لم أتمادى في برودي لعلمي أنه يخفي خلف قناعة الهادىء نارًا من القسوة قد تحرقني وسبق ان أحرقتني يوم هجرني حتى تفحم قلبي وأصبح رماداً من البكاء.

- والله يا أحمد انت فاجئتني وبأمانة مش عارفة لسة إن كنت مستعدة للكلام ده سواء الزواج أو الشراكة في العمل، خليني أفكر واشوف هأعمل إيه.

- إنتِ هاتفكري كمان؟ لا بجد إنتِ تغيرتِ إوي يا ليلى ..أوي..

يومها غادر أحمد حزيناً منكسراً، أحسست بألمه وانكساره لكنه أبداً لم يكن كانكساري وألمي يوم هجرني ..

أفقت من شرودي على فكرة مؤلمة، هل عودتي لأحمد كانت حباً خالصاً أم استرداداً لكرامتي الضائعة التي سحقها بأنانيته البغيضة، أم لأني أردت الانتقام منه على قتله لـ ليلى التي عشقته وانتظرته سنين طويلة كي يحقق وعده بالزواج منها؟

هل أصبحت مقيتة لهذه الدرجة، وهل أنا بهذه البشاعة حقاً؟

أحمد هل أحببتني قط؟!.. أم أحببت نفسك من خلالي، من خلال

حبي لك وخوفي عليك، وعشقي للحظاتنا التي تجمعنا وضعفي بك.. أنت عشقي الكبير الأوحد، وطفلي المدلل الذي لا أرفض له طلباً أبداً مهما كبُر أو صعُب، إبني البكري الذي ولدت معه أول فرحتي وزوجي الذي فض بكارتي حتى وإن لم يجمعنا عقد زواج، كان عقدنا وعقيدتنا هو الحب وشهودنا الجامعة بكل طلابها ومدرّسيها، وبيتنا سريرنا الذي جمعنا آلاف المرات.

كل الدنيا التي عشناها كانت شاهداً على حبنا وباركته، وجئت أنت بكل أنانية الطفل بداخلك وكسرت لعبتك وحطمت قلبي ورميته وراء ظهرك، وهجرت بيتك حضني لأخرى أعطتك شيئاً لم يكن بإستطاعتي إعطاءك إياه وقتها، والآن أستطيع أن أعطيك أكثر منها بكثير جداً ولكن، هل تستحق أن أشتري سعادتي معك بالمال، أدفع ثمن حبي لك مالاً وأماناً ماعدت أشعره معك؟

نمت يومها ودموعي تبلل مخدتي وأشباح الماضي عادت لتبني أعشاشها فوق رأسي المرهق بكل قوة وشراسة، عادت لتؤرقني وتمنع عني النوم الهانىء وتأخذني معها إلى المجهول...

في غمرة أحزاني طلبت عاصم هاتفياً وقصصت عليه ما دار بيني وبين أحمد، أنصت لي حتى نهاية حديثي وفاجأني بجملة عجيبة لم تخطر لي على بال أبداً .

- ليلى، ممكن نتعشى سوا الليلة؟.. عندي صديقة سبق وملّحت لك عنها هاجيبها معايا العشاء وإنتِ تعزمي أحمد، داليا بتشتغل في

نفس مجاله ومحتاجة خبرة حد زيه في عملها الحالي، تفتحي له شغل معاها وبكدة مش هاتخسري مادياً أو تحسي إنه ممكن يستغلك في الحتة دي، يشتغل ويثبت نفسه ويبقى ساعتها حر قراره، لو حاسة إن قلقك منه بسبب إنه طمعان فيكِ مادياً؟

- مش فاكرة داليا يا عاصم، مالها بقى؟

- عندها مؤسسة صحفية كبيرة ومحتاجه حد في خبرة أحمد يديرها لأن المدير الحالي مش كفء وطلبت مني أرشح لها حد، وأحمد كان في بالي بس استنيت لحد ما أشوف الوقت المناسب، هي صديقة لي من أكتر من عشر سنين وكنا دائماً بنتقابل لما بنزل مصر ومرة جاتلي اسبانيا كضيفة... إيه رايك؟

- إنت بتعمل الخدمة دي لي وألا لأحمد ولا لداليا يا عاصم؟ وبعدين إنت كنت رافض تماماً تقابل أحمد، إيه الي جد؟ داليا دي مجرد صديقة ولا...؟

- داليا مجرد صديقة بحبها وبعتز بصداقتها، بس أنا مش مناسب ليها ولا هي مناسبة ليّ، كدة وصلك المعنى صح؟ وبعدين أقابل أحمد وسط مجموعة طالما المصلحة واحدة مش هايفرق غير ما أقابله على أساس إني أقيّمه أو أعمل معاه صداقة، وبعدين أنا بقيت اتعامل مع الموقف دلوقتي بالعقل... فـ بالنسبة لي أنا كدة تمام....

- طيب سيبني أكلم أحمد وأكلمك تاني...

اتصلت بأحمد وبلغته بالدعوة فوافق مرحبا واتفقنا على موعد

العشاء على أن يكون في مطعم هادىء في ضواحي المعادي.

استعددت للعشاء أحسن استعداد.. إرتديت ثوباً من الشيفون الأبيض مفتوح الصدر يظهر أنوثتي أكثر، وضعت ماكياجاً هادئاً مناسباً للون الثوب، رفعت شعري وأنزلت بعض الخصلات على جبيني.. هكذا اقابل أحمد بعد طول غياب، امرأة كاملة متجددة الانوثة دائماً....

مر أحمد عليّ بسيارته واستقبلني وفتح لي الباب لأجلس جنبه مع الكثير من الإطراء والمديح..

- وحشتيني أوي، متعرفيش أنا تعبان قد إيه من غيابك عني، سبتك تقرري براحتك بدون تدخل مني، ونفسي أخدك في حضني وسط الشارع بس احترمت المكان والزمان..بحبك أوي !

- وأنا بحبك أكتر يا أحمد... بحبك أكتر!

قبلني على خدي قبلة دافئة وأمسك يدي وقبلها برقة وعذوبة، كعادته كان أحمد ساحراً، يعلم كيف يؤثر بي سلباً وايجاباً.. بالروعته ووسامته، يلبس بدلة سوداء مقلمة بخيوط سوداء لامعة، قمة في الأناقة، زادت بنيته الجسدية القوية والجسد المفتول العضلات من مظاهر رجولته وحيوته....

- انت النهاردة تري شيك يا أحمد، واختيارك للبدلة رائع..

- ده إنتِ الي تري شيك يا حياتي وطول عمرك أنيقة وتخطفي العين والقلب من أول مره شفتك فيها لحد دلوقتي، طول عمرك أميرتي...

دخلنا إلى المطعم متشابكي الأيدي تحفّنا هالة من السحر والحب تظهر على وجوهنا ولغة جسدينا اللذان يتحركان كأنهما جسد واحد مع اختلاف الأعضاء، كأننا توأم ولد أحدنا من أجل الآخر فقط.

عاصم ودواليا سبقونا إلى المطعم الهادىء ذو الأنارة الخفيفة، مطعم ذو طابع مصري صميم مشهور بأكلاته المصرية القديمة كالحمام المحشي والطواجن والمحمرات والمحاشي، ينساب بين جنباته صوت أم كلثوم تشدو بصوتها الرخيم بعض أغانيها القديمة العريقة، قدم لنا عاصم داليا بطريقته المهذبة الراقية.

- مدام ليلى أعرفك على مدام داليا.

- أهلاً ليلى سمعت عنك كتير من عاصم، لكنك أحلى بكتير من إللي سمعته، اتشرفت بمعرفتك.

- أهلاً داليا، ميرسي لذوقك يا عزيزتي، إنتِ إللي جميلة وأحلى بكتير مما توقعت.

داليا امرأة فائرة الأنوثة، تتمتع بشعر ناعم أشقر مع خصلة عريضة تتدلى على جبينها، ينام فوق خديها المكتنزتين عينان خضراوتان واسعتان برموش طويلة سوداء يتوسطهما أنف إغريقي الملامح، الشفاه مرسومة بعناية، منتفخة تكشف عن أسنان بيضاء ناصعة مرصوصة بعناية.. امراة ذات جمال نادر، بنيتها كإمرأة في سن ال 14 عشر من عمرها، صغيرة الحجم كأنها طفلة تتفتح بواكير أنوثتها على سن المراهقة، العود الفرنسي او ما يطلق عليها المرأة الـــ Petite

لم أصدق أنها في العقد الرابع من عمرها، فهذا الجسد لم يمر عليه الزمن ولم يتخّط أبداً سن المراهقة...

بدأنا العشاء ببعض المقبلات وانتظرنا قليلاً لنتحدث عن أحوال العمل وتفاصيله، فاستهل عاصم الحديث قائلاً:

- مدام داليا تملك مؤسسة «عيون» الصحفية الشهيرة، وبقالها فترة عايزة تطورها وبتبحث عن رئيس تحرير مخضرم وفاهم لطبيعة العمل، لأن التوسعات إللي عايزة تعملها محتاجه لخبرة وعلاقات كتير، ولما قالت لي، أول حد جه على بالي انت يا أحمد وأتمنى يحصل بينكم تعاون وممكن تعملوا شغل كويس جداً سوا.

لا أعلم لم اعتصر قلبي كلام عاصم، خفت وارتعبت من فكرة «الشغل الكويس» التي ذكرها عاصم، فداليا امرأة متفجرة الانوثة ولا أعلم مدى علاقتها بعاصم، هل هم فقط «أصدقاء» أم هناك أمراً آخراً لا أعلمه، وهل سينجذب أحمد لجمالها ويخلط العمل بالمتعة- كعهد الرجال- أم سيكون أكثر إحترافاً واحتراماً للعمل ولعلاقتنا ؟

وهل داليا من النساء المحنكات اللواتي لا يضيعن فرصة كأحمد من أيديهن بغض النظر عن إرتباطه بأخرى؟ وبرغم انها امرأة تعرف كيف تخفي مشاعرها جيداً تحت رقة جمالها الأخاذ ووداعة عيناها الخضراوتان، إلا ان حدس النساء لا يخطىء وحدسي أنذرني بأمر مؤلم سيحدث قريباً... قديماً قالوا إن أردت معرفة حقيقة امرأة فعليك بإمرأة أخرى تعلمك ما تخفيه النساء ببواطن نفوسهن.

أفقت من شرودي على صوت أحمد يناديني طالباً إبداء رأيي في الأمر، لم أكن سمعت الحوار كاملا، فشرودي وأفكاري أخذتني بعيداً عن المكان، أخذتني حيث مرتع الخيانة التي تصورتها قادمة لا محالة، لا عن عدم ثقة بنفسي إنما عدم ثقة بأحمد الذي أرتعب من فكرة أن يفاجئني بخيانة أخرى قد تقتل ما تبقى من مشاعر بداخلي مدى الحياة.

حاولت الإعتذار عن إكمال العشاء بسبب صداع مفاجيء انتابني مما جعل الجلسة متوترة، أحسست بتوتر أحمد على الأخص وان كانت داليا أكثر براعة في اخفاء مشاعرها وإبداء التعاطف والمشاعر اللطيفة نحوي، فعرضت عليّ بعض المسكنات أو الذهاب بي لطبيبها الخاص، ولكني رفضت بأدب ولطف، طلبت من أحمد أن يقلني للمنزل واعتذرت عن إكمال اللقاء.

ودعت عاصم بنظرة عتب حاولت أن أوصلها له بشكل خاص، وتوقعت من حركات عينه أنه فهمها تماماً، محاولا أن يخفي عني ما يدور برأسه مع علمه بما سيكون رد فعلي عندما ألملم شتات نفسي.. مهلا عاصم سوف يكون الحساب عسيراً إن صدق حدسي!

اعتقدت أنني هكذا أفوت فرصة العمل بين أحمد وداليا أو هكذا خُيل اليّ، ولم أعلم أن القرار كان قد أتخذ منهما معا، وكنت أنا مجرد مكمل لدوري القديم بدون تأثيرات مستقبلية مهمة.

***

داليا وعاصم

- إنت مصدق إللي عملته ليلى يا عاصم وتصنّعها التعب فجأة؟

- مش هاصدق ليه يا داليا، ليلى شخصية محترمة مش شايف سبب يخليها تتصنع المرض.

- إحساس الست مابيكدبش، هي لما شافتني إتكهربت مرة واحدة، تقريباً انت كنت مديها فكرة مختلفة عني...

- الحقيقة إني ماديتهاش أي فكرة خالص، كل مافي الأمر إني قلت لها إنك صديقة عزيزة زي ماقلتلك عنها بالظبط، وإنك محتاجه حد بخبرة أحمد في العمل لا أكثر ولا اقل.

- هما متجوزين ولا متصاحبين زينا؟

- مرتبطين بغرض الزواج لما تتحسن ظروف أحمد.

- يعني هو ظروفه صعبة ومحتاج العمل..تمام.

انشغل عاصم بتناول العشاء وخيم الصمت على ماتبقى من الوقت مع داليا حتى انتهيا من تناول العشاء ثم أوصلها للمنزل وصعدا معاً !

امتدت علاقة عاصم بداليا سنين طويلة بين مد وجزر، أحبته بجنون وانتظرت أن يتقدم للزواج منها طيلة العلاقة التي امتدت لعشر سنوات، لكنه لم يفعل!

ارتمت على صدره ثائرة الشعر، محمرة الأوداج حين تسلل صوتها كقطة تعبت من موائها في حالات الشبق الموسمية.

- تعرف يا عاصم عمري ما أزهق منك ولا بشبع..!

أحاط خصرها بذراعيه وشدها إليه بعنف.

- ولا أنا يا داليا.. إنتِ عارفة معزّتك عندي قد إيه.

أغرقها في قبلة طويلة معلناً انتهاء المعركة العظيمة لتي دارت منذ قليل بينهما.

- هي دي المشكلة، إنت بتعزّني بس أنا بحبك حقيقي وبتمنى نبقى مع بعض رسمي، مش مجرد صحوبية وخلاص، إنت أكتر واحد عارف إن ناس كتير بيتقدمولي لكن أنا عايزاك إنت، إبتديت أتعب ومحتاجة راجل يكمل الصورة الاجتماعية، محتاجة ابقى زوجة مش عشيقة وتبقى معايا قدام الناس مش جنس وبس!

- داليا، من يوم ماعرفنا بعض وأنا مشدود لك وبحبك، بس مافكرتش إننا نتجوز، مع إنك تستحقي أحسن مني بكتير.. عمري ما خدعتك ولا كدبت عليكِ ولا كانت معرفتي بكِ بدايتها وعود بالزواج، وقلت لك من سنين طويلة أنا مش بتجوز وإنتِ وافقتي ده بالعكس كنتِ راضية كمان.. إيه إللي حصل دلوقي وإيه الي اتغير؟

- إللي اتغير إني بكبر وأنا وحيدة.. إللي اتغير إني بحبك!

عدلت من جلستها على حافة السرير، أشعلت سيجارة ونفخت دخانها في وجه عاصم وأخذت تقبله في عينيه قبلات كثيرة دافئة وهو مستسلم لها بخدر.

- مش بيقولوا بلاش تبوسني في عينيا البوسة في العين تفرّق؟.. سألها عاصم.

- تقريبا كدة، للأسف يا عاصم النهاردة فهمت سبب عدم طلبك للزواج مني، كنت مغفلة إني قعدت سنين أعشم نفسي بأنك في يوم هاتتجوزني مع العشرة والتعود وحبي لك، بس اكتشفت إنك في وادي تاني خالص..!

- يعني إيه مش فاهم يا داليا، مالك النهارده إنتِ مش في مودك العالي ليه وطبعك بقى حاد؟

- شفت في عينيك حبك لـ ليلى وكرهك وغيرتك من أحمد.. إنت عارف قدرتي على قراءة العيون خصوصاً الرجال، فما بالك لما يكون الراجل ده عاصم إللي حبيته عشر سنين، وعاشرته كزوجة وعشيقة وحبيبة وعرفت كل حاجة عنه.. فاكر لما كنت بقولك قلبك صندوق أسود معرفتش أدخله وأقرأ إللي فيه؟.. النهارده قدرت أفتحه واقرأ أسرارك اللي كنت مخبيها بعيد عني، لما شفت بصتك لـ ليلى عرفت كنت مخبي عني إيه !

- وإيه إللي جاب سيرة ليلى دلوقتي تاني، من ساعة ماشفتيها اتقلبتي ليه كدة، مش فاهمك أبداً النهاردة خالص والأحسن إني أمشي، مش هانوصل لحل مع غيرتك إللي مش هاتخلص دي.

- استنى يا عاصم..! عندي كلمتين هأقولهم لك وياريت ماتزعلش مني وأعذرني، إنت عارف أنا صريحة ومباشرة ومعنديش حاجة اتكسف منها وبعمل إللي عايزاه وبقول إللي عايزاه بدون وصاية من حد.

أنا حبيتك سنين طويلة واستنيتك كتير وإديتك فرص ياما وماطلبتش نتجوز أبداً، استنيتك تقولها وتطلبها مني، حتى لما سافرت برة مصر في وظيفتك كنت بجيلك وما قدرتش أبعد عنك فترة طويلة، وكتير فكرت أسيبك وأشوف إللي بيترموا تحت رجلي ويتمنوا رضايا، بس ماقدرتش لأني مش شايفه غيرك، مش عشان انت أجمل راجل ولا أحن راجل ولا عشان توافقنا في الجنس، كل دي أسباب مخلياني لحد دلوقتي بحبك وعايزة نستمر مع بعض لكن مش بالشكل السابق.

أنا محتاجة راجل معايا على طول، يشيل عني حتى جزء من شغلي ويبقى واجهة للمجتمع، زوج أظهر بيه قدام الناس.. إنت عمرك ما هاتعمل كدة، أنا فهمت ده النهاردة، وعشان كدة بقولك إن دي آخر مرة هانتقابل فيها كعشيقين، وأتمنى الإحتفاظ بك كصديق عمرللأبد، ما أحب أخسرك ولا أخسر وجودك في حياتي أبداً، وماتزعلش لو عرفت إني هارتبط بحد تاني، وقبل ما تفكيرك يروح بعيد لحد دلوقتي مافيش حد تاني، بس أنا خلاص قررت أشوف أكتر حد مناسب في الموجودين وهارتبط!

***

تأكد عاصم في قرارة نفسه ما ترمي إليه داليا في كلامها وفهم أنها وجدت ضالتها في أحمد، فلم يفرق معه إن كان هذا الأمر أراحة أم أهانة، كل ما دار في رأسه وهو عائد لمنزله شعوره بالحرية من عبء إحساسه بالذنب ناحية داليا، برغم انه أبداً لم يعطها الأمل يوما في الزواج!..قائلا في نفسه:

لست رجلاً للمغامرات العابرة، ولكن قد أكون تعلقت بـ داليا لحظة شرود عاطفي، وكانت عندى ذرائع جميلة تعفيني من الإحساس بالذنب بعد أن استسلمت لعروضها المواربة... لم يكن لي مفر من تلك النوايا الخبيثة لأسئلة بريئة تطرحها عليك امرأة تضمر لك متعة شاهقة أو هكذا تستنتج من كلامها، داليا فتحت بجملة واحدة بوابة الشهوات وتركتني مذهولاً لا أدرى كيف أوقف سيل الحمم الحارقة..

يالي من رجل أناني، فأنا طوال السنين الماضية لم أحب داليا بالقدر الذي يجعلني أتمنى الارتباط بها أبداً، فهي قوية الشخصية عنيدة برغم حنانها وحبها لي... لم يكن لي عليها سلطان فيما يختص بالعقل، وأنا كرجل أحب السيطرة مهما حاولت إخفاء هذا الشعور، بأني أحب نصح امرأتي وتنصت لي وتنفذ رغباتي... وكأي رجل شرقي أحب المرأة في خضوعها، وداليا لم ولن تكون خاضعة لي، غالباً هذا سبب الفجوة العاطفية التي أحسست بها ناحيتها طيلة علاقتي بها.

تمنى لها الخير والسعادة بحياتها وإن كان على حساب ليلى أو حسابه هو شخصياً... في النهاية هو لن يرتبط إلا بـ ليلى إن وافقت عليه فهي حلم العمر، أما داليا فكانت مجرد محطة راحة وواحة وافرة استراح فيها مؤقتاً من عناء البحث عن امرأة يستكين إليها ويفرغ طاقته الجنسية والعاطفية فيها بدون وعود او التزامات غير صادقة من وجهة نظره!

داليا وبرغم انها مثيرة وثرية وناجحة إجتماعياً لكنها في النهاية امرأة ينعش انوثتها ويحيي جسدها الذي قارب على الذبول عمليات التجميل التي تخفي معالم الزمن عنها.. داليا تحتاج لأحمد فعلاً... كانت هذه الخاطرة كفيلة بأن تجعل عاصم يحس بالإطمئنان والأمل المتجدد في الإرتباط بـ ليلى والخلاص من شبح أحمد المقيت، وطالما داليا قررت هذا فلن تترك أحمد لأخرى!

***

نامت داليا ليلتها حزينة مكسورة القلب، لا تعلم إن كان قرارها صحيحاً وستثبت عليه للنهاية، فقد انتظرت عاصم سنين طويلة كي يطلب الإرتباط بها ولكنه لم ولن يحدث... حدثت نفسها قائلة:

أحتاج لرجل يعمر قلبي بالحب وينهل من حناني وأنوثتي التي قاربت على الأفول، فلو كنت ظاهريا صارخة الجمال لكني أعلم بيني وبين نفسي أن الوقت يمر ضدي ويجب عليّ أن أختار رجلاً أكمل معه حياتي حتى وإن كان مرتبطاً بامرأة أخرى... وطالما الأمر عقلانياً وليس عاطفيا فلا مجال للتفكير بالعواطف، في عالم البزنس والثراء الفاحش لكل إنسان ثمن مهما كان غالياً، وأنا أستطيع دفع الثمن دائماً ومضاعفاً أيضاً!

منذ متى كان للعقل على القلب سلطان..سأهمل قلبي وأخرسه وأستمع لصوت العقل وأبحث عن المصلحة كما فعل عاصم، فهو وإن أحبني- كما يقول- فهو حب أناني، يرضي رغباته ونزواته كرجل ناجح

تتهافت عليه النساء الجميلات، ولكن قلبه لم ولن يكون لي، مهما حاولت فلن أستطيع دخول صندوقه الأسود هذا أبداً...

عندما استمعت داليا أخيراً لصوت عقلها، وجدت ضالتها في أحمد، فنظراته لم تكن لتخطؤها أبداً، وقرأت ما يدور برأسه وقرأ هو ما يدور برأسها...

***

بعد العشاء...

أوصلني أحمد للمنزل وصعد معي، ناولني مسكناً للصداع وتمنى لي ليلة هانئة، على وعد بأن يطمئن عليّ في الغد... هكذا كان ترتيب تصرفاته يؤدي دوره على أكمل وجه بدون إشراك مشاعره في الأمر، وقد عذرته، لم أتقن دوري تماماً، قد فهم أنني أعترض على وجود داليا في حياتنا حتى وإن كان تعارفهما بادرة ممتازة لإستكمال مستقبله العملي، أنا كنت ممثلة فاشلة في اصطناع الموقف.

بعد أخذ المسكن ألحقته بمنوم كي أنام بلا أحلام أو كوابيس، لم أشاهد سوى خيالاتي المريضة تأخذني مرة أخرى إلى عالم الشك القاتل إلى المجهول.

كنتَ يوماً ما أجمل أحلامي، والآن تحولت أجمل أحلامي بك لكوابيس تخنقني وتقبض على أنفاسي.. كم أتمنى أن أنتزعك مني وبقوة ، كم أتمنى أن أكرهك..كم، وكم، وكم!

رأيت أحمد يقف على ضفة نهر وأنا على ضفته الأخرى بعيداً،

كنت أريد اللحاق به ولا أعلم كيف..كان عاصم بجانبي محاولاً أن يمسك يدي بعيداً عن النهر وأنا أهرب منه، أريد الخوض في النهر والذهاب لأحمد حتى وإن كان الغرق مصيري..وعندما نزلت الماء رأيت داليا تقف بجانب أحمد عند الضفة الأخرى من النهر يتضاحكان ويمسكان أيدي بعضهما وينظران نحوي ببرود وأنا أبكي وأصرخ ولا يسمعاني أو لا يريدان سماعي، الوحيد الذي كان يسمعني هو عاصم محاولاً العوم في النهر لانقاذي صارخاً بي أن أنتظره وأن لا أستسلم للتيار..وعندما اختفى أحمد وداليا من المشهد قررت أن أترك رئتي للماء يحتلها وللغرق يغتالها، بلا مقاومة مني ..

صحوت مفزوعة أجاهد إستنشاق الهواء وإدخاله إلى رئتي وأنا أكاد اختنق من الرعب، إلى أن تأكدت أنه كان كابوساً وليس حقيقة، هدأت قليلاً وقمت متثاقلة تجّرني الخيبة جّراً إلى الهاتف لأحادث عاصم أو لأحقق معه بشأن ما حدث بالإمس، فلا أظن بأن امرأة كـ داليا سيصعب عليها إختيار شريك لحياتها، إذن من المؤكد أن هناك أمراً خفياً وراء عاصم وداليا...

طلبت من عاصم باقتضاب الحضور لزيارتي، حاول التهرب ولكني لم أعطه الفرصه لذلك فوافق على مضض!

لم أغير ملابسي، كنت ألبس بيجاما كحلية كلون مزاجي المتعكر، شعري مشدود ككعكة فوق رأسي التعبة، كأنني آتية من معركة خاسرة بلا حماس ولا إبتسامة ولا روح.

كم تكون الغيرة مُرّة على المحبين.. لكن غيرتي على أحمد فاقت قدرتي على إخفاء مشاعري في المواقف والظروف الصعبة، حب أحمد كبّل قدرتي على المقاومة فلم أعد من كنت سابقاً، ولم يعد أحمد كما كان.

ماذا أقول له وقد حشر خذلانه في حلقي كل الكلمات؟ كنا كغريبين يتعلقان ببعضهما لأن شيئاً ما يربطهما، شيئاً مشروخاً محطماً بسبب قسوة الأنانية المطلقة من طرف اعتدى على مشاعر الآخر وتركه مضرجًا بدمائه بلا رحمة، وكنت أنا المضرجة بدمائي وأحمد قاتلي الوسيم.

حضر عاصم يرسم الجدّية على وجهه متوقعاً الأسوأ مني، ليس لاني أعطيته هذا الإيحاء، ولكن لأنه كان يعلم تماماً ما تخفيه نفسي وما يدور برأسي من أفكار سوداء.

- قل لي يا عاصم مين داليا دي وليه ما ارتبطتوش، شكلها أجمل مما تخيلت..؟

كان سؤالي مباغتًا وأنا أقدم له فنجان قهوته المظبوط.ر

- داليا زي ماقلت لك صديقة مقربة، حاولنا نرتبط بس ماحصلش نصيب وإتفقنا نفضل أصدقاء لأنها شخصية جميلة ومحبيناش نخسر بعض على المستوى الإنساني..

صمتي كان علامة غير لطيفة لعاصم، فلم أعقّب على كلامه بحرف، ظللت صامتة فترة ليست بقصيرة، وظل هو يتلهى بإرتشاف

فنجانه المظبوط راسماً اللامبالاة على وجهه.

- قولي لي يا ليلى.. إنتِ فعلا كنتِ مصدّعة إمبارح ولا فيه حاجة تانية؟

- بصراحة يا عاصم أنا صدِّعت فعلا، بس طبعاً إنت بالذات ماقدرش أخبي عليك، أنا إتضايقت من جمال داليا وإهتمام أحمد بيها وإهتمامها بيه كمان.. إنت ماقلتلهاش إننا مرتبطين ببعض؟

- بصراحة لا، بس هي فهمت، سألتني وقلت لها إنكم مرتبطين وهي حبت فكرة التعاون مع أحمد لأنها ست عملية وعايزة تنجّح مؤسستها بغض النظر عن أي حاجة.

- يعني إيه بغض النظر عن أي حاجة؟.. جملتك غريبة شوية.

- أقصد إن أحمد وسيم طبعاً بس هي جايّه عشان الشغل، وهي بتعرف تشتغل وبتحترم الأصول، وأساساً تعارفهما لشغل مش لأي حاجة تانية... مايروحش فكرك بعيد، بعدين أحمد لو عايز يخونك مش هايستنى داليا أو غيرها، وماظنش أحمد بيفكر إلا بالشغل، بطلي هلاوس وغيرة ستات.

بعد جملة عاصم الأخيرة «لو أحمد عايز يخوني»، أحسست بغصة في قلبي؟

لم أفصح لعاصم عن شكي في نواياه، أحسست بعدم الثقة فيه لأول مرّة منذ عرفته وأنه هو المدبّر أو من يدير اللعبة ضدي أنا شخصيا فشعرت بالوحدة والخوف والبرد يلتحفني ولسعة الصقيع

تحيط روحي... فها أنا وحيدة في معركتي الشرسة التي سأخوضها بلا عتاد... وبرغم كرهي للمعارك والركون للسلام إلا أنني لن أتنازل عن أحمد هذه المرة ولن أسلّمه لإمرأة أخرى بيدي، على جثّتي..!

***

بعد لقاء عاصم غير المريح، انتظرت حتى حادثني أحمد للإطمئنان على صحتي، طلبت منه المجيء لأمر هام .

- حبيبتي إزيّك النهاردة، إمبارح قلقت عليكِ أوي، عامله إيه النهارده، شكلك منورة وزي القمر، هو الصداع بيحلّي كدة؟

بالطبع لم أقل له بأني تزينت خصيصاً للقائه وان كان يعلم أنني أفعل هذا دائماً، ولكني هذه المرة تزينت بشكل خاص وتفننت في زينتي فأصبحت أشبه ممثلات السينما في حفلات تقديم الأوسكار، لبست فستاناً من الحرير الأحمر وأسدلت خصلات شعري على وجهي، مع وضع أحمر شفاه قاني الحمرة يبيّن جمال شفتي الممتلئتين.

- الحمدلله يا حبيبي أحسن بكتير، وحشتني أوي!

بادرته بالهجوم العاطفي كي أسقط حصون اللا مبالاة التي أحسستها بصوته وازيح أستار البرود الذي يحيط بعلاقتنا منذ فترة، أدخلت رأسي بين كتفيه كقطة تموء طلباً لإهتمام سيدها، تتمسح به كي تمتزج الروائح وتصبح عطراً تصنعه العاطفة المشبوبة..

- وإنتِ كمان وحشتيني أوي يا ليلى، أوي...

أمسك بذقني الصغيرة ومال برأسه إلى الأمام، قبّلني على شفتي

قبلة طويلة حارّة اعتصر بها شفتاي، بادلته القبلة بقبلات ساخنة كثيرة، وغرقنا في لذة الأحضان والقبل..

ذاب الجليد بيننا حتى أصبحنا كجسد واحد يعيش في أسفل بركان الشهوة المحمومة، وفزنا بمتعة اللقاء الحميم... هكذا أردت للمشهد أن يكون قبل أن أبدأ بتنفيذ خطتي، أفقده قوته وأعصابه وأغتصب منه إرادته قبل العرض الذي أنوي عرضه عليه، خططت لهذا المشهد بإقتدار شديد..!

اعتدلت في مكاني وأخذت بعض قطرات العصير ورويت أحمد من شفتاي بعصير الرمّان المثلج...!

- أحمد أنا موافقة نتجوز.

- أخيراً يا ليلى وافقتي، طيب ليه كل الوقت إللي فات ده، وإيه إللي حصل خلاكِ توافقي النهارده بالتحديد؟

- فكرت ولقيت إني مش هاقدر أعيش من غيرك وبدون وجودك في حياتي.

- حياتي إنتِ أنا مبسوط أوي مع اني حسيت بخيبة أمل لإنك ماوافقتيش على طول، حسيت انك مش مبسوطة، بتحكمي عقلك مش قلبك وعذرتك إنك مثلا كنتِ خايفة من الإرتباط، خايفة مني بسبب إللي حصل قبل كدة، حاولت ألاقي مبرر مايزعلنيش منك، عشان كده أنا دلوقتي أسعد إنسان في الدنيا إنك قررتِ بنفسك بدون ضغط مني أو ضغط آخر. !

حديث أحمد كان ملتوياً، فها هو يلمح لما حدث بالأمس دون أن يذكر إسم داليا.. ذكاؤه كان أكثر ما أعجبني به منذ بداية علاقتنا، فلم الآن يضايقني هذا الذكاء، هل لأنه يصّب في مصلحته فقط أم لإحساسي بأنه يخطط لأمر آخر؟

- معاك حق، كان لازم أفكر بدون أي ضغوط عشان آخد قراري بكامل إرادتي، فكرت كمان في الشغل إللي ممكن يكون بينا.. إيه رأيك نفتح دار نشر أو جريدة...

- الجريدة محتاجة سيولة كبيرة يا ليلى، وأنا مامعيش المبلغ ده.

- ولا يهمّك أنا معايا!

- معاكِ مبلغ يكفي فتح جريدة يوميّة من الألف للياء يا ليلى، ولا تقصدي ها ناخد قروض من البنك بضمان الجريدة؟

- آه يا أحمد معايا... ورثت ثروة كبيرة من المرحوم جوزي تكفي أفتح جريدة وتبقى من أهم الجرائد الكبيرة في البلد كمان، وانت بشطارتك تجيب محررين أكفّاء وتديرها صح...

إعتدل أحمد في جلسته ونظر لي باستغراب شديد وكأنه يراني لأول مرة في حياته، فاغرًا فمه وبوادر تكشيرة تكاد تولد على وجه الوسيم.

- وإنتِ عايزاني أشتغل عندك ولا إيه مش فاهم وأبقى جوز الست؟

- إخص عليك يا أحمد، أنا كنت بفكر إنك تبقى شريكي بنسبة معينة.

- بنسبة معينة مش فاهم.

- يعني هايبقى لك نسبة نقول مثلا30% في الجريدة وتبقى رئيس التحرير مع راتب كبير ووضع أدبي مناسب.

- آه فهمت، جوز الست برضو تمام تمام، تصدقي عمري ما تخيلت انك ثرية او معاكِ ملايين، كنت فاكرك زيي بتعتمدي على راتب معين، ماكلمتنيش قبل كده عن الميراث ده، مش فاهم أي حاجة..!

- مش فاهم إيه يا أحمد، إيه علاقة الفلوس بينّا؟ أنا بحبك وإنت بتحبني واتقابلنا بعد سنين طويلة، وكل حاجة كانت اتغيرت، أجيبلك سيرة فلوس أو غيره هاتفرق إيه في علاقتنا؟

- أنا حكيت لك كل حاجة تخصني حتى دخلي إنتِ عارفاه وديوني إللي كنت بحاول اسددها وواقع في مشاكل مع البنوك بسببها، وعمرك ما فكرتي تساعديني وإنتِ عارفه انك لو ساعدتيني كان هايبقى دين برقابتي، بس الغريب إنك وقفتي تتفرجي عليّ بدون ما أصعب عليكِ، بتتفرجي على حبيبك بيغرق والحبل في إيدك على الشط ما فكرتيش ترميه لي كأنك غريبة.

مش شايفاه غريب شوية الموضوع ده، دلوقتي إيه إللي خلاكِ تغيري رأيك وتقرري تنقذيني، داليا؟ إني ممكن اشتغل معاها وأنجح بدونك، أو خايفة أخونك وأتجوزها لأنها ثرية فبتحاولي تغريني وتشديني بحاجة أقوى من الحب في نظرك؟

ياااااه يا ليلى، إتأخرتِ كتير أوي.. حتى لو ماشتغلتش مع داليا أو

غيرها مش هاقبل مساعدتك دي، ولو ماكنتيش قلتي لي إنك ثرية كنت هابقى أسعد إنسان في الدنيا إن أخيراً هايجمعنا بيت واحد وسقف واحد وتبقى مراتي إللي طول عمري بحبها، بس دلوقتي فيه حاجة بينّا كسرتيها كأنك بتردي لي القلم بس بطريقة تانية خالص أقوى وأشد قسوة، لازم أمشي..!

صدمني أحمد بردة فعله المبالغ فيها أم لم يكن مبالغا؟ لا أدرى..

جلست طويلا مع نفسي أحترق مع سجائري، إلى ان امتلأت المنفضة بأعقاب السجائر وامتلأ صدري بنارها..

هل كنت فعلا أنانية مع أحمد لهذه الدرجة البغيضة التي صورها لي؟ كيف لم أنتبه لأنه كان فعلا متعسراً مالياً ويحتاج لمساعدتي؟ أو أني انتبهت فآثرت الهروب مما ظننته إستغلالاً لي؟

لا أعلم، لكني حاولت أن أعيش في جلباب أحمد قليلاً كي أفهم مشاعره، ووجدت أني لست مسؤولة عن خساراته المالية أو عن قناعاته بخصوص مساعدتي له، وإن كنت بشكل ما مسؤولة عن إستمرار وجوده في حياتي بشكل يرضينا سوياً حتى لو كان ثمن هذا الوجود المال.. كان عليّ مساعدته وعدم الإستماع لنصيحة عاصم بإخفاء ما أملك من ثروة قد تكون طائلة في نظر أحمد، وهي بالفعل كذلك لكنها لن تشتري سعادتي أبداً..!

***

مرّ أسبوع بعد اللقاء العاصف بأحمد إتصلت به كثيراً لكنه لم

يجب.. إختفى كأنه لم يكن يوماً، ذهبت لمكان عمله ولم أعثر عليه، فكل الإجابات سلبية، وكل هواتفه مغلقة، وكل الأماكن غير عامرة بعطره، حتى منزله القديم بالمنيل الذي يعيش فيه مع والدته واخته المريضة ذهبت إليه وسألت بواب عمارته لكنه لم يجيبني بما يروي فضولي، أحمد سافر إلى جهة مجهولة لأقرب الناس إليه..يا لوجعي!

***

ظلت داليا تتأرجح بين أن تبدأ بالتواصل مع أحمد وطرح فكرتها مع علمها أنه ينتظر مكالمتها على أحّر من الجمر..تعلم هذا يقيناً..

بعد إنقطاع علاقتها العاطفية بعاصم، إزادات فكرة التواصل مع أحمد، خصوصاً في ظل غضبها من عاصم لعدم قدرته على إخفاء عاطفته تجاه ليلى، عقدت العزم على الإتصال بأحمد والإتفاق معه على لقاء لبحث بدء العمل معها.

إتفقا على لقاء في مكتبها الخاص، وفي اليوم التالي حضر أحمد في الموعد المحدد، مهندم يلبس بدلة رمادية مع ربطة عنق زرقاء باذخة الأناقة..

أما هي فاستعدّت للقائه بقميص من الحرير الأحمر مع بنطال حريري بلون البيج العاجي، كانت تضج بأنوثة وجمال لاتخطؤهما العين.

جلسا يتكلمان فيما تحتاجه منه للعمل في مؤسستها، عرضت عليه منصب نائب رئيس المؤسسة، أي الرجل الثاني بعدها هي كصاحبة المؤسسة، تحدثت معه قائلة

- أنا إنسانة عملية وبعرض عليك العمل معي مش عندي، أتمنى انك تفهم المغزى من ورا كده كويس، وكمان نسبة مالية آخر السنة من الأرباح.، مع راتب كبير جدًا ومنصب أدبي رفيع، أنا متأكدة إنك هاتعمل تغيير كبير في العمل، وحاسيب لك إدارة الخطوط الصغيرة، أما القرارات الكبيرة فترجع لي فيها قبل التنفيذ، غير كده ماعنديش طلبات تانية منك غير التفرغ التام يعني أي وقت بيحتاجك العمل، مش عايزه عطلة أو أعذار، تقريباً هاتبقى مشغول طول اليوم منصبك محتاج كدة وهاتعرف ده مع بداية العمل، وعايزة أشوف إبداعاتك وشغلك.

- أوكى موافق، لكن ينفع أأجل استلامي العمل أسبوعين مثلا لظروف خاصة؟

- أسبوع واحد كفاية تكون رتبت فيه نفسك وسبت شغلك القديم واستلمت هنا، لأني في المكتب هأديهم فكرة من دلوقتي وهأطلب منهم تجهيز مكتبك إللي هايبقى فيه باب مشترك بيني وبينك فيه، والدخول عندك هايبقى من خلال السكرتيرة المشتركة بينا، يعني هاتبقى تحت إشرافي لحد ما تفهم كل الشغل.

- أوكي أسبوع أكون سلّمت فيه كل متعلقاتي في الشغل والحاجات المترتبة عليّ وآجي أستلم، على خيرة الله..

- كمان فيه أمر مهم جدًا يا أحمد عايزاك تفهمه كويس، أنا ست مش بخلط العمل بالأمور الشخصية.. يعني عايزاك تتفرغ كمان

نفسيا للعمل، وحسب علمي إنت مطلق ومش مرتبط وده شيء عظيم عشان مفيش أي حاجة تعطلك عن العمل إللي هايستهلكك تماماً عشان بعد كدة ماتقولش إني ماقلتلكش أو فهّمتك.

- أنا مش مرتبط بأي حاجة دلوقتي وهاتفرغ تماماً للعمل الجديد، وأوعدك إني هاوريكي شغل ماحصلش بس حبّة حبّة لحد ما أفهم كل حاجة وأربط الأمور ببعضها، أسبوع واحد وهاتلاقي الشغل كله ماشي زي الساعة. ثم فاجأته بسؤال مباغت

- إزي ليلى دلوقتي.. ومعلش آسفه للتدخل، مش أنت وليلى كنتوا مرتبطين؟

تظاهر بشرب باقي فنجان قهوته وبصوت متحشرج أجابها

- الحقيقة أنا أعرف ليلى من أيام الدراسة، صديقة عزيزة وكان فيه مشروع إرتباط بس ماحصلش لأسباب كتير مش هاينفع أذكرها، بس هي صديقة عزيزة دلوقتي مش أكتر..!

يا لكذبك يا أحمد، هل نسيت أيامك ولياليك الساخنة مع ليلى هكذا في لمح البصر.. هل ستكرر ما فعلته معها أول مرة عندما هجرتها وهي كاملة الإيمان والثقة بك وكنت أنت أول رجل يلمسها ويفقدها براءتها.. يا لك من وغد.

هكذا كانت نفس أحمد تحدثه إلا انه نفض رأسه من كل الأفكار التي قد تجعله يخسر فرصة العمل مع داليا.. ومن يدري لعلها ايضا تقرأ أفكاره وتكون فرصته معها أكثر من العمل.. لعله يتربع يوما ما

على عرش الإمبراطورية الكبيرة التي تملكها داليا..

لم لا وهي امرأة وحيدة برغم ثرائها وجمالها وبالتأكيد تحتاج لرجل يدير معها امبراطوريتها المترامية، وأيضا تحتاج لدفء رجل يغريها ويتمتع بأنوثتها وجمالها، يعطيها ما تفتقده من مشاعر وعاطفة وبالتأكيد الجنس، وإلا ما الذي أغراها في التعامل معي رغم فشلي في إدارة أعمالي الخاصة وإفلاسي، لأني سعيت وراء النساء دوماً وتركت مشاكل العمل للموظفين البائسين.. أكتشفت مع السنين اني أملك ثروة من الوسامة والرجولة التي تكاد تضّج من البنطال حتى تكاد تشتم رائحة أنوثتها التي تضّج بها ملابسها..

كانت هذه الفكرة كفيلة برسم إبتسامة اغواء على وجه أحمد، لقطتها رادارات أنوثة داليا المحنّكة وبدأت في تغيير نبرة صوتها فتحولت من سيدة أعمال إلى قطة تموء في ليلة إكتمل فيه القمر..!

- أفهم من كدة إنكم مش مرتبطين دلوقتي.. أعذرني على سؤالي ده بس أنا زي ماقلتلك عايزه حد متفرغ للعمل في البداية عشان مايضيعش طاقته على أمور تانية، وده سبب إختياري للعمل معاك إنك متفرغ وبدون ذيول!

كانت كاذبة إنخفضت نبرة صوتها وهي تنطق آخر جملة بإغراء لذيذ... صوت كفحيح الأفعى يأسر أي رجل كامل الرجولة في حضرة امرأة يشتهيها كل الرجال.

- يبقى إتفقنا.. مستنياك كمان أسبوع ومكتبك هايجهز من بكرة،

وأيّ وقت تخلص فيه أمورك ومتعلقاتك القديمة تيجي تستلم، ولو إحتجت تفهم أي شيء تاني كلمني في اي وقت، بابي مفتوح لك تماماً...

بعد آخر جملة من داليا أيقن أحمد أنها وقعت في شرك رجولته ووسامته إلى أبعد حد، فقام من مكانه يستأذن بالانصراف...

تتالت المشاهد بين أحمد وداليا.. تّارة يحادثها ليسألها عن شأن ما، وتارّة تحادثه لكي تتطمئن على أموره وتستعجله الحضور لمكتبه الذي أصبح جاهزاً لإستقباله..حتى إستلم العمل وأصبح يراها صباحاً ومساءً، حيث فاجأته بعمل إحتفال ضخم لتقديمه لجميع الموظفين بالمؤسسة في فندق 7 نجوم.

كانت حفلة باذخة جداً، فيها كل أنواع الخمور والمأكولات الشهية، ضمّت كباررجال الأعمال في جميع القطاعات، يومها أحس بالزهو وبالإنتصار على كل خساراته في الحياة، أحسّ بأنه بدأ أول السلم الصحيح لعالم المجد والشهرة والمال و..داليا.

بعد إنتهاء السهرة طلبت منه إيصالها إلى للمنزل وهي تترنح من كثر ماشربت من الخمرة، نظرات عينيها توحي بشهوتها الجامحة له فلم يضيع الفرصة، أوصلها للمنزل وصعد معها حتى لا تقع من فرط السكر، بدأ معها فصلاً جديداً من فصول اللهو والعبث والشهوة.

كانت داليا امرأة شبقة ذات شهية دائمة للجنس، لا تكّل ولا تمّل، تهاتفه في أيّ وقت ليلًا أو نهارًا تطلبه للحضور حالًا في التو واللحظة،

لم يتوانى أحمد عن تلبية رغباتها المجنونة والطائشة، أصبح عبداً مسخراً لمتعتها.. يعلم أنها تنهل من شبابه كي تزداد نضارة وشباباً، إكتشف أنها لا تعرف معنى الحياء في أي زمان ومكان تطلبه كي يلبي رغباتها أمام الخدم والموظفين، كانت امرأة متسلطة بحق، إلاّ في لحظات الهدوء النادر الذي كان يفصل بين معركتين عاصفتين بينه وبين داليا، عندما تستكين للنوم شبه فاقدة الحياة لساعات طويلة كي تسترد طاقتها ونشاطها لتبدأ معه فصلاً جديدًا من فصول المتعة.

جلس يفكر بليلى التي أحبتّه وأخلصت له، وكانت دائمة الاستعداد لترك أي شيء من أجله فقط.. أما داليا فهي سيدة أعمال من الطراز الرفيع علاقتها بأحمد كانت صفقة مكسبة لها وله أيضاً، هو يأخذ المال والمناصب والشهرة وهي تتمتع بفحولته، فلينهل من أموالها ولتنهل من رجولته حتى تشبع أو يدخل الملل بينهما وينتهي الغرض من الصفقة!

***

لم يعد عاصم يهاتفني كالسابق، تمرأيام طويلة قبل أن أسمع صوته، حتى حديثه أصبح مقتضباً كأنه يخفي عني أمراً ما حتى باغتّه بسؤال مفاجيء

- أخبار داليا إيه؟

- بقالي فترة ماسمعتش أخبارها، بتسألي ليه؟

- سؤال عابر يا عاصم..مجرد سؤال.

- لما أكلمها هابقى أبلغها سلامك..!

هكذا تلونت أيامي بلون الشقاء والخوف من المجهول وإن كان معلوماً في عقلي الباطن، كنت أحاول الفرار منه أو تجنبه طويلاً... هجر أحمد الذي حوّل حياتي مرة أخرى لإنتظار ما لا أعلمه، الإنتظار كان دائماً قاتلاً للأمان ولكنه أبداً لا يقتل العشق!

تعودت أخذ المهدئات حتى تلونت جفوني بلون قاتم، ولم يعد يزورني النوم إلا وصاحبته الكوابيس يليها صحيان لليالٍ طويلة، لم يعد النوم من روّادي إلا بأمر الأقراص المنّومة !

- ألو

- إزيّك يا ليلى!

- أحمد! كنت فين كل ده، إخص عليك، قدرت تسيبني كل الأيام دي إزاي، إختفيت فين، سألت عنك ورحت لك البيت والشغل، ماحدش عارف لك طريق..إنت كويس؟

- الحمدلله أنا بخير، كنت محتاج أقعد مع نفسي شوية وأعيد حساباتي وأفكر باللي جاي، محتاج أشوفك ونتكلم، بس ياريت يكون في مكان عام..!

صمَتُ طويلا وكأن أحمد يقول لي بأننا أصبحنا غرباء، وأن قصة حبنا أصبحت من الماضي..كأنه يطلب وداعي أو انهاء قصتنا بطريقة لائقة !

- حاضر..!

- النهاردة الساعة 7 هاعدي عليكِ ونروح نقعد شوية في النادي.

نقعد شويه في النادي..! قالها وكأننا متعودان على لقاءات النادي المملة أو كأنها هي الإختيار الوحيد أمامه..لم يطلب لقاءً على العشاء في مطعم من المطاعم الفاخرة التي تعودنا السهر والرقص فيها على أنغام الموسيقى حتى الفجر..غالبا سيكون لقاءً مؤلمًا تمهيداً لانهاء قصتنا، أو بمعنى أدق الإجهاز عليّ.. !

ركبت سيارة أحمد، كان سلامه باردًا، قبلة على اليد مع كلمة مجاملة، لم ينظر لوجهي كعادته عندما يكون غاضباً مني!

جلسنا في مكان هادىء، لم يكن النادي مزدحماً في منتصف الأسبوع، فقط بعض الاعضاء كبار السن يجلسون بهدوء يشربون الشاي بالنعّناع، وبعض المراهقين، وطاولة أخرى يجلس عليها بعض النساء يتهامسن، لم يكن أبداً بالمكان المناسب لقصّتنا ولكني لم اعلق وتركت له القيادة وإختيار ما يريده في هذه المرحلة لأنني كنت أعلم بأن الأمر أصبح قاب قوسين أو أدنى من الفراق !

- يا ريت الكلام إللي ها أقولهولك ده تفكري فيه كويس وتفهميه صح وماتقاطعينيش خالص لحد ما أخلص كلامي من فضلك.

سافرت أول أسبوع للجونة، رحت نفس الأوتيل إللي إتقابلنا فيه بالصدفة، عشت مع الذكريات هناك، وحاولت أحط نفسي مكانك وأفهم ليه عملتِ كده، ليه خبيتي عني إنك ورثتي ثروة كبيرة، وإكتشفت إنك أكيد كنتِ خايفة مني، ومش حاسه معايا

بالأمان يمكن عشان الماضي أو عشان فشلي في شغلي الحالي والديون، وبغض النظر عن الأسباب فإن السبب الأهم في نظري والنتيجة إللي وصلنالها هي عدم الإحساس بالأمان من بعض، إنتِ خفتِ مني وبالتالي خليتيني اخاف منك.

مجرد رجل في حياتك تحبيه من بعيد بعيداً عن ظروفه المادية أو نجاحه في شغله أو فشله، ودي أنانية شديدة منك، ولما حسيتي إني ممكن أشتغل مع داليا الجميلة المليونيرة صاحبة المؤسسة الناجحة إضطريتي إنك تصارحيني بوضعك وإستعدادك للعمل معي، وللأسف كان عرضك برضو إني أشتغل عندك مجرد موظف بصفة زوج الست!

الأسبوع التاني كنت في القاهرة، قابلت داليا أكتر من مرة وقعدنا نتكلم في الشغل، وعرضت عليّ أمسك مؤسستها مقابل مبلغ مادي مغري ونسبة عالية من الأرباح، حسيت إنها مش بتعرض علي عمل لكن بتعرض نفسها كمان تلميحاً وليس تصريحاً، إنتِ عارفة اني بفهم كويس في الستات وبعرف من نظرة عين الست عايزة مني إيه، أنا مش صغير..هاتسألي نفسك ليه بقولك الكلام ده؟

داليا إعترفت لي إنها كانت جاية تعمل صفقة معايا بايعاز من عاصم قبل ما تقابلني وأعجبها، كانت فاكرة إني راجل عجوز أو إنسان أقل من العادي، ولما شافتني وعجبتها وافقت على اللعبة دي.

عاصم هو إللي زقها في طريقي عشان يصفى له الجو معاكِ لأنه بيحبك وعايزك وأنا إللي واقف حجر عثرة في طريقه وأظن إنك

عارفة إنه بيحبك، ده مش جديد عليكي أو فاجئك، وعشان كدة قررت أختار العرض إللي يناسبني...

أنا بحبك آه وبحبك جداً، لكن اتصدمت فيكِ جدا لأني فهمت انك بتمشي حسب كلام عاصم وإللي هو بيقرره ليكِ في علاقتنا، وأنا مش بحب أكون منقاد لا لست ولا لراجل حتى لو كان فيه إفلاسي.

أنا موافق نتجوز بشرط نص الجريدة تبقى ملكي، وأنا إللي أدير وإنتِ مجرد ممول، شريك صامت يعني وبس!

فكري بكلامي وردي عليّ براحتك لأن عرض داليا لسه قائم لكن كفتك إنتِ لحد دلوقتي راجحة عندي، وإللي في نصيبك أكتر حبي ليكِ، بس العمل هو العمل...

إنتِ كنتِ أعقل مني بكتير المرة دي، وأنا كنت بفكر بعاطفتي عشان كده جه دوري إني أفكر بعقلي مش بعاطفتي..!

لا أذكر ماذا قلت لأحمد بعد كلامه الجارح..صدمتي الشديدة به وصدمتي بعاصم الأشّد...

دائماً ما كنت أضع في حسباني وعقلي الباطن خيانة أحمد، لكن لم أتخيل خيانة عاصم بهذا الشكل القاسي، فكيف يكون حبيباً من يقتل حبيبه، ماذا توقع عاصم مني إن تركت أحمد، أن أوافق على زواجي به، أن قلبي سيكون ملكاً خالصا له حتى إن وافقت على الزواج؟.. لماذا يكون الثمن دائماً أنا، أدفع ثمن أنانية الرجل حبه لي أو خيانته لي، أو حبه للإمتلاك ؟

كيف سأواجه عاصم بهذا الكلام الخطير؟ أأقول له إنه خائن لصداقتنا..كيف وأنا أراه صديقاً وهو يراني حبيبة يتمناها منذ رآني لاول مرة حسب كلامه يوم أعترف لي بحبه؟.. ماذا أقول لأحمد؟.. هل أدفع ثمن حبي له وأشتري سعادتي بالمال، هل سيشتري لي المال السعادة إن وافقت على دفع الثمن؟

لم أنم ليلتها ولم يغمض لي جفن ولا الليالي التالية بعدها حتى وصلت من الإرهاق حداً يشبه الإغماء أو شبه شلل في أطرافي وثقل في الحركة حتى وقع مني كوب الماء وأنا أشرب قرص المهدىء الرابع على التوالي.

هل كانت محاولة إنتحار أم أدمنت المهدئات، كل ما أذكره أن إرتعاشة يدي إمتدت لجسدي كله حتى وصلت لرأسي فأحسست بالخطر وقررت الإتصال بعاصم ولا أدرى لماذا عاصم وليس أحمد.. بصوت منخفض يشبه الإحتضار طلبت منه الحضور بسرعة وأنا أحاول تمالك أنفاسي قبل أن تسوّد الدنيا في عيني وأقع في غيبوبة طويلة فاقدة الوعي.

لا أدرى كم لبثت في الغيبوبة، أياماً أو شهوراً أم اعواماً..عندما فتحت عيني رأيت عاصم يجلس على كرسي بجانبي في غرفة بيضاء علمت أنها المستشفى الذي نقلني إليه عاصم بعد أن كسر باب شقتي إبّان وقوعي أرضاً وفقداني الوعي..بسبب الحادثة حدث شرخ في عظام الكتف والرقبة أدت لشبه شلل في أطرافي.. كان عاصم يحكي

عن حالتي الطبية وكأنها عن شخص غريب عني لا يمت لي بصلة.

إستمعت لكلام عاصم حرفاً حرفاً دون أن أنطق بكلمة واحدة حتى ظّن أني فقدت النطق، طلب مني محاولة الكلام ولكني آثرت الصمت، فطلب من الأطباء تشخيص حالتي بشكل أدق، إن كانت الحادثة أدّت إلى إصابتي بالخرس...

من صدمتي في عاصم وأحمد والحادثة وكل ما حدث لي، فقدت الرغبة في الكلام، ظللت صامتة أنظر لعاصم وأحمد الذي أتى متأخراً كعادته مثلما قال لي عاصم، أنه كان يأتي يومياً للأطمئنان على حالتي الصحية ويغادر مسرعاً.

كان عاصم يتابع حالتي يومياً، تارة يثرثر في مواضيع عامة، وتارة يجلس صامتاً يقرأ بعض الجرائد اليومية كالثعلب بعين واحدة وعينه الأخرى تتابعني في الخفاء.

تيقنت يومها من حبه لي وعشقه لكل تفاصيلي، حتى وأنا شبه عاجزة على سرير المرض لا يكف نظره عن التحديق لساعات طويلة بلا كلل وأنا صامتة أو متظاهرة بالنوم أو بالفعل في سبات عميق تحت تأثير العقاقير، وعندما أصحو أجده محدقاً بي...

هل يعقل أن يعشق رجل امرأة بهذا الشكل العجيب..لا أعلم لماذا أحسست بالتعاطف مع عاصم، وبدأت أكره حبي لأحمد أو ما ظننته حباً لآخر العمر..فعاصم كان رجلاً دائماً وأحمد كان رجلاً أحياناً.. وشتان ما بين هذا وذاك.

مرّت الأيام على نحو بطيء، بدأت حالتي تتحسن وبدأت أتحرك

في السرير مع خطوات العلاج الطبيعي يومياً، عاصم يساعدني على الحركة، يمسك يدي، يعطيني الدواء في مواعيده، حتى الممرضات إستعجبن من دقته في المواعيد عندما تتأخر الممرضة المسؤولة يهرع إليها يوبخها ويطلب منها إلتزام المواعيد.. كان دؤوباً، مخلصاً، حنوناً معي، صارماً مع الآخرين..!

كان أحمد يحضر يومياً وفي يده باقة ورد حتى امتلأت غرفتي بالورود... ولمدة عشر دقائق، كان ينفر من عاصم، يسلم عليه فقط إتباعاً للآداب العامة، وعاصم يبادله التحية ببرود وهدوء شديدين مراقباً بصمت....كان أحمد يجلس بجانبي على السرير بعد ان يقبّل رأسي، يتحدث إلي وأنا كعادتي أنظر له بصمت، يطمئن علي من الأطباء ويرحل..

لا زلت أمثل دور الخرساء بجدارة، لم تراودني ابداً رغبة للحوار، وإعتبرت ماحدث لي فرصة لإستعادة أفكاري بدون البوح بها لأتمكن من إستعادة حياتي لاحقاً بدون التدخل من عاصم أو أحمد فيما سأقرره بعد خروجي من المشفى والذي أصبح قريباً جداً بفضل الله عزّ وجلّ ورعاية عاصم!

خرجت من المستشفى بعد شهر كامل من العلاج والصمت والآلام التي كانت تنتابني بسبب الشروخ الجسدية والنفسية.. لم أتعالج فقط من الشروخ بل من إدمان المهدئات والأقراص المنومة.. وأحمد!

أحضر لي عاصم خادم لتعتني بي..آسيوية هادئة الطباع مطيعة، تعودت أن أطلب منها ما أريد بالاشارة عندما يكون عاصم موجوداً،

وعندما أكون لوحدي أتحدث معها، لا أدرى لماذا اصريّت على إدّعاء الخرس في حضور عاصم وأحمد.

أحمد الذي أصبح كالغريب عني يحضر لزيارتي كواجب لا غير دون أن يفتح أيّ حوار يخصنا أو ما تحدثنا به في آخر لقاء في النادي وكأنه فقد رغبته بالإرتباط بي، وأنا كالبركان أغلي بداخلي من تغيره المفاجىء، أو ما أسميه مفاجئا حتى لا أوبخ نفسي على ما فعلته بها؟ كل ما أردته العيش بسلام بعد الحادثة..بدون حب أو بدون أحمد، أن أقضي أيام نقاهتي بلا ضجيج أفكاري وعشقي لأحمد!

وكعادته يأتي عاصم محملاً بما لذ وطاب يرغمني على الطعام والعلاج وأحياناً الإبتسام حتى قررّت أن أعود للكلام.

- متشّكرة يا عاصم على كل حاجة، كلمة متشكرة مش هاتوفيك حقك أبداً.

- الحمدلله أخيراً يا ليلى سمعت صوتك مرة تانية، قوليلي بقى إنتِ كنتِ فاقدة النطق ولا فاقدة الرغبة في النطق؟

- الحقيقة ماكنتش عارفة، كل إللي كنت عارفاه إني مش عايزه أتكلم خالص، صوت أفكاري كان مشوش على رغبتي في الكلام معك او مع أي حد تاني.

نظر لي نظرة عتب، فهم ما أرمي عليه، بالطبع أحمد، فتجاهلت نظرته العاتبة وأكملت

- كنت زعلانة منك أوي، وكنت ناوية أعاتبك بس الحادثة سبقتني.

- خير يا ليلى، تعاتبيني على إيه؟

- على موضوع داليا وأحمد، حسب مافهمت إنه كان بينكم إتفاق إنها تشتغل مع أحمد وتاخده مني بالمرّة.

- مين قالك الكلام السخيف ده؟ أحمد!.. الحقيقة أنا مش فاهم إنتِ ليه مصّرة دائماً على تصديقه برغم انه ولا مرّة أثبت إنه يستحق الثقة دي ولا مرّة، ومش عايز أتكلم أكتر من كده، مش وقته بقى.

- هو إيه إللي مش وقته؟ طالما قلت يبقى فيه كلام مستخبي، قوله عشان أفهم، مش بحب ابقى آخر من يعلم! وخصوصاً إن المسألة كلها تخصني أنا!

- مفيش يا ليلى خلاص، أنا ماشي وأجيلك بكره أتطمن عليكِ، سلام!

غادر ورياح الغضب تحركه، لأول مرة أراه غاضباً بهذا الشكل، فأنا عهدته أعقل وأهدأ وصعب الإستفزاز، رباطة جأشه كانت مضرب الأمثال بحكم عمله كدبلوماسي، هو يعلم ما يقول ، كيف يقوله ومتى، لأول مرّة يفلت منه زمام أعصابه ويكشّرعن أنيابه ويرحل غاضباً هكذا...

ولكن معه كل الحق، فأنا إتهمته إتهاماً شديد القسوة، ولا أدرى إن كان أحمد أصدق من عاصم في هذا الأمر، أم أنه كان يريد كسب المعركة ضد عاصم لإزاحته عن طريقه، لم اعد أعلم شيئاً وإن كنت بيّت النية على أمر آخر يوصلني للحقيقة.. فصبر جميل!

في اليوم التالي حضر أحمد، فرح جداً عندما علم بإستعادتي للنطق أخيراً، سألني إن كنت أريد التحدث معه بشأن آخر لقاء قبل الحادثة

أم لازلت على غير مايرام صحياً.. فوافقت بهدوء وطلبت منه أن يسمعني بدون مقاطعة مثلما إستمعت له اخر مرّة وكل مرّة!

-الحادثة إللي حصلتلي كانت مهمة جداً، ربنا أراد أعيد حساباتي في كل حاجة بحياتي، أختبر نفسي وقدرتي على الحياة بشكل مختلف بعيداً عن العاطفة وعنك.

الفترة إللي فاتت إنت بالغت أوي في رد فعلك.. كنت بتيجي ضيف وتمشي ضيف يمكن رفعاً للعتب أو لأسباب أخرى، بس الأكيد إن ماكانش عندك حاجة تديهالي لأنك إتعودت تاخد بس.. وهاتاخد إيه من واحدة متكسرة وفاقدة النطق، أكيد ولا حاجة، كنت بس بتعمل الشكل الاجتماعي مش أكتر، والعاطفة مالهاش مكان عندك، انا فهمت طبعاً انك ظبطّت الدنيا مع داليا وإبتديتوا تشتغلوا سوا.

كانت الجملة ألأخيرة هي ما بيّت النية عليها لإيقاع أحمد في الفخ، كان عندي شبه يقين بأن داليا هي البطلة في الوقت الذي كنت فيه أنا بعيدة عن الساحة.

ولحكمة يعلمها الله وحده أبعدني عن المشهد كي يريني لاحقاً إن كان أحمد يحبني حقاً أو سيكون مخلصاً لي إن حانت له فرصة أفضل ..

كان الله رحيماً بي، ولم يعد هناك أدنى شك في عدم إخلاص وحب أحمد، أصبح الأمر محسوماً إذن، وهو ما كان يخفيه عاصم عني في فترة مرضي وعلاجي.. يحاول أن يجنبني الألم، فهمت هذا الآن بعد جلاء أفكاري وترتيبها، علمت ماكان يخفيه أحمد خلف زياراته

السريعة مخافة أن أرى داليا في عيونه أو أتعثر بعطرها بين ثنايا جلده إن إحتضنتُه أو قبلتُه، أو ألمحها تلوح لي في نظرة شاردة من عينيه.

نظرت لأحمد لأرى تأثير وقع كلامي عليه، كان وجهه مكفهراً كمراهق أمسكته امه بالجرم المشهود وهو يشاهد فيلماً إباحياً لا يعلم كيف يعتذر أو كيف يمحو من ذاكرتها هذا المشهد ليحتفظ بحبها وإحترامها وحنانها وينجو من عقابها..!

- ليلى مانكرش إني فعلاً لما إتناقشت مع داليا في موضوع الشغل، وتقريباً يعني هي أصرت أبدأ كفترة تجريبية معاها الشغل... و...

- أنا- مقاطعة: مش بس الشغل يا أحمد، مش أنا إللي تخبي عني عينيك، بفهمك من بصّة، واضح إنك عشت كمان معاها فترة رومانسية أو خلينا نكون أكتر دقة عملتوا علاقة كاملة!.. أنا شامة ريحتها فيك، في جلدك، على شفايفك، في كل حتة في جسمك، شايفاها في نظرتك لي، ريحة الخيانة إللي عمري ما حبيتها فيك لسه بتفوح منك بعد كل السنين دي...

عشان كده مش عايزاك تقول كلام تاني يا أحمد، أنا بعفيك من أي حاجة أو إلتزام كان بينّا، ربنا يوفقك وأتمنى أسمع عنك كل خير، وميرسي على الأيام السعيدة إللي قضيناها سوا... كانت أحلى أيام عمري، وعمري ما رح أحب حد زيك أبداً.. حبنا كان أحلى حاجة حصلت لي، ميرسي إنك عرفتني معنى الحب الكامل، على الأقل كامل من طرفي أنا..!

تركته في الصالة مطرق الرأس غارق في عرقه ودموعه، وغرقت أنا في وحدتي وآلامي وشقائي المنتظر!

أحسست بعلاقته بداليا منذ البدء، ولكني كذّبت نفسي كي لا يزداد تعبي ومرضي وتركت نفسي للمصادفة والتجاهل كي لا أنهار مجدداً لمجرد الفكرة، الآن فقط أعلم أن أحمد لم يخلق من أجلي بل خلق من أجل امرأة كـداليا يمتلكان نفس النسيج، وأنا خلقت لعبة لأحمد يلعب بها حد الملل، وتركت نفسي ليلهو بي كيفما شاء، لا أستطيع أن أرفض له طلباً أيا كان هذا الطلب، فكيف يكون قراراً بالفراق عنه والهجر أريد أن آخذه بنفسي.

وكأني كنت أستعجل الألم والدموع عندما قررت إنهاء علاقتي بأحمد، وكأني كنت أستعذب الوجع والفراق، ظننت أني قوية «والظن كان فاتورة باهظة الثمن يجب أن أدفعها وحدي» ...

عندما طلبت منه الرحيل، أعتقدت انني قوية أو أن فترة العلاج الطويلة وبعده عني أرجعتني إلى صوابي وعقلي، ولكني إكتشفت كم لازلت ضعيفة، كنت أجتّر الذكريات الجميلة، هنا كان أحمد يقبلني، وهنا كنا ننهل من المتعة سوياً بلا إنتهاء أو شبع، وهناك كان يجلس يتابع المسلسل معي وأنا أداعب شعر صدره الكثيف.

تارة أربّت على فخذه بحركات مثيرة، وتارة أخرى أقبله قبلات كثيرة حتى استفز فيه رجولته ليحضتنني بقوة ونبدأ حلقة جديدة من معارك الغرام، يقفز فجأة فوقي ممسكاً بكلتا يدي مكبلاً لحركتي ويبدأ في إثارتي بقسوة لينتهي الأمر بالعناق والقبل والمداعبات

الحنونة فأستسلم له كقطة في فترة شبقها لا تستطيع أن ترفض ذكَرها الذي سلبها إرادتها بقوة الغريزة والمتعة..!

أياماً وليالٍ طوال كنت أمسك الهاتف وأضغط كل أرقامه ماعدا الرقم الأخير وأغلق السماعة مرة أخرى..

ماذا أقول له؟ هل أقول له أترك داليا وتعال... سأغدق عليك من عشقي بدلاً منها أو أغنيك بمالي وأخسر كرامتي وإحترامي لذاتي وهو كل ما تبقي لي في هذه الحياة، وبعدها تأتي امرأة أخرى أو أخريات...

كلا لن أستسلم ولن أدخله حياتي مرة أخرى ولن استعذب الألم ثانية، لأخر مرّة يجب أن يختفي أحمد من حياتي للأبد، ويجب أن أصمد، وأن أنسى!

صعُب علي أن أعيش الفراق مرة أخرى وأنا في سن الأربعين، لم يكن بالسهل أن أعيش نفس التجربة، ولمفارقة القدر أن يكون نفس الرجل الذي هجرني في ريعان شبابي وأن يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى بهذه القسوة.

الأكثر إيلاماً كان إحساسي بأني لن أمارس أنوثتي مرة أخرى على رجل، أن أفقد الرغبة في قرب رجل آخر غير أحمد.. إحساس مؤلم وكارثة حلّت بي، فمنذ وعيت على الدنيا كأنثى كان أحمد هو رمز الرجولة، لم أستطع أن اجتثه من عقلي ولا قلبي ولا غريزتي.. كان كل رجل ناقص غير مكتمل الرجولة فقط لأنه ليس أحمد، وكأني بهجري له هجرت أنوثتي عنده ولم أعد أنثى!

مرّت بي الأيام حزينة، رتيبة، لم يحاول أحمد أن يتصل بي.. ولم

أعد أنتظر مجيئه أيضاً... فجأة كل النيران انطفأت والبراكين خمدت والحياة تلونت بلون رمادي قاتم بعد أن كان اللون الأحمر هو المتصدر: لون الحب والشهوة والجنون...

رجعت إلى قرائي وعملي أحّل مشاكلهم وأنا عاجزة عن حلّ مشكلتي، أو كما يقال «طبيب يدواي الناس وهو عليل»...

لم ينقطع عاصم عن التردد علي يومياً.. علم بأني تركت أحمد، لم يحاول إخفاء فرحته ولم يحاول أيضاً مضايقتي بتكرار عرضه بالزواج مني، فقط لمّح لانه سيظل ينتظرني العمر كله، لم أعقب على كلامه بوعد، ورفضت أن أعطيه الأمل برغم اني بدأت اراه بشكل مختلف، أكثر قرباً، أكثر رجولة، أكثر احتواء.. بدأت انظر له كرجل وليس كصديق فقط..!

وبرغم اني كثيراً ما كانت تنتابني الأفكار المجنونة بأني تزوجت أحمد وتخيلت حياتي معه بعد هدوء العاطفة وركون القلب إلى العقل وتواتر الروتين اليومي، لم أستسغ طعمها ولم يعجبني اللون الرمادي القاتم، لم يكن دور يليق بأن يلعبه أحمد أبداً..أحمد الذي أرتبطت صورته بلون دمي الأحمر القاني، لون يلغي كل الألوان ويضارعها جمالاً وجنوناً وعظمة...لن يتحول للون آخر أبدا ...خصوصاً الرمادي المقيت..!

في جملة التخيلات التي إنتابتني، تخيلت عاصم زوجاً لي، تخيلت الهدوء والأمان والحب اللا محدود على الأقل من طرفه وبغير شروط...

الآن أعلم أن عاصم هو الفارس الذي سينتشلني من ألمي ومرضي

وضعفي وتعبي وعجزي- كما فعل في فترة مرضي- سيكون سنداً لي في الملمات. وعونا في الأيام الصعبة وإن كنت لا أحبه كحبي لأحمد ولا أرغبه كرجل يلمس جسدي.

كيف السبيل لأن اركّب عاطفة عاصم لي على عاطفتي لأحمد، كيف أستطيع أن أنقل عاطفة عاصم العاقلة لحبي لأحمد الهادر المجنون المنطلق في كل إتجاه بلا لجام أو قوانين أو منطق؟

هل من الممكن أن يتحول الحب إلى عدوى تصيب من يلمسه فيصاب به ويصبح عاشقا لمن نقل له العدوى، هل هناك دراسات أو أبحاث أثبتت هذه النظرية العجيبة؟

أليست المرأة بكائن لطيف يحب الإهتمام والتعود والإخلاص والإحساس بالأمان والحب المطلق؟

هل من الممكن أن تحب من يحبها فقط لأنه أخلص في حبها وأثبت لها أنها المرأة الوحيدة التي يراها ويرغبها دوناً عن جميع نساء الارض؟

أم أن الحب عصّي حتى على المحبين حاكم ظالم لا يعبأ بالعقل ولا المنطق ولا تلزمه قوانين البشر؟

كثيراً ما كانت تحضرني رواية الجميلة والوحش الأسطورية، كيف أحبت الفتاة وحشاً شرساً شكله مفترس ولكنه كان حنوناً ومحباً مخلصاً، أحست معه بالأمان....

اما أنا ..فـ وحشي كان وسيم إلهيئة، وحشاً من الداخل دائم الخذلان لي، لم يتحملني في مرضي، هرع إلى أول امرأة أشعرته

برجولته، لم يكن سنداً ولن يكون أبداً...

لم يعد الحب وحده كافياً لحياة سعيدة هانئة آمنة، كان ينقصه توفر الأمان والثقة والنظرة المشتركة للحياة....

أعطاني الله نعماً كثيرة... مال وشهرة وجمال وعقل أيضاً، كل هذا لم يكن كافياً بجانب العاطفة التي رغبت وتمنتيت أن أعيشها للأبد في حضن أحمد، والإخلاص الذي وهبني إياه عاصم... فكان عاصم العقل وأحمد العاطفة، وكنت أنا الجنون..!

مقارنتي بين أحمد وعاصم جعلتني ظالمة لنفسي ولهما أيضاً... فلا سبيل أبداً للمقارنة، فكل ما يجمعهما هو العاطفة من أوجه مختلفة...عاطفتي نحو أحمد وعاطفة عاصم نحوي، أو بمعنى أدق وجودي هو الذي جمع عاصم وأحمد في خانة واحدة..لا بل خانتان مختلفتان من حيث التفاصيل والأقدار...

ولا زلت أعيش صراعي مابين العقل و القلب وبين الفرار إلى المجهول بإنتظار عاطفة تجمع العقل والقلب معاً..

أم أن هذا أصبح مستحيلاً في زمن يعج بالفوضى والماديات والمصالح..؟

تـــــمـــــت